الدين .. والدجل
(٥)

حوارات حصرية مع قيادات عصرية

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

الدين .. والدجل
(5)

حوارات عصرية

مع قيادات عصرية

د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الأولى
1436 – 2015

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

هذه حـوارات أجريتهـا في أمـاكن مختلفـة من هـذا العالم، ولم يكن لي حينها – للأسف – آلة تسجيل، ولا آلـة تصـوير، ولا أي آلـة من هـذه الآلات الـتي يعرفهـا النـاس في هـذا الزمـان.. لم يكن لي حينهـا إلا قلم رصـاص واحـد، وأوراق محـدودة، ولهـذا كنت أشـفق عليه وعليها، فألخص ما يقال تلخيصا شديدا..

ولهــذا أرجــو ألا يطــالبني أحــد بوثــائق الصــور والأصوات الدالة على هذه الحوارات.. ولكنني مع ذلك أســتطيع أن آتي بــدل الأصــوات والصــور بعشــرات المجلدات الدالة على صدق ما يرد فيها.

هذا من ناحية توثيق هذه الحوارات..

أما من ناحية الأشخاص الـذين تحـاورت معهم فيهـا فهم كثــيرون، وكلهم قيــادات.. ولكنهم قيــادات في الأفكار، لا في السياسة، ولا في غيرها.

أي أن هــؤلاء أصــحاب مشــاريع فكريــة قــد تمس السياســة، وقــد تمس الاقتصــاد، وقــد تمس قضــايا المجتمع المختلفة.. وقد لا تمسها جميعا، وإنما تحلــق في آفاق الفكر الـتي تحـاول أن تتعـرف على حقـائق الوجود، وقد تصل إليها، وقد تصل بـدلها إلى الخرافـة والأسطورة.

وبمـا أن هـذه الشخصـيات قيـادات، وليسـوا ناسـا عــاديين، ولم يكن لي بحســب وضــعي الاجتمــاعي البسـيط قـدرة على الحـديث مباشـرة معهم، فلهـذا سترون أن الكثير من هذه الحوارات لم تكن الأسـئلة فيها مني مباشرة، وإنما كنت أتنصت فيها، وأسجل ما يقال، وقد أتدخل في الصياغة والاختصار حرصـا على قلمي الوحيد وأوراقي القليلة.

وحرصا مني أيضا على سلامتي من أي متابعة لم أسجل اسم أي شخص من الذين تحاورت معهم، بل اكتفيت فقط بما يشير إليهم، وبما يشير في نفس الوقت إلى غيرهم، حتى يمكنني التملص إن توجهت إلي أي تهمة.

وأرجو من القراء الأعزاء إن وجدوا أي خطأ في هذه الحوارات أن يرسلوا لي بطلب التصحيح، فقد كتبتها كما ذكرت لكم بقلم رصاص، وليس بقلم جاف، ولدي - بحمد الله - ممحاة أستطيع أن أمحو بها كل ما كتبت أو بعض ما كتبت، ولدي مع الممحاة بعض الورع الذي يحول بيني وبين أن أقوّل أحدا من الناس ما لم يقل.. فلا تترددوا في الرد علي، وتصحيح ما قد أقع فيه من أخطاء، ولكم مني جزيل الشكر والثناء.

الحركة الإسلامية.. والغباء السياسي

عنـدما أتيحت لهم الفرصـة للوصـول إلى السـلطة التي طالما حلموا بهـا، لم أكن أتصـور أبـدا أنهم بهـذا الغباء، وبتلك السذاجة المقيتة.. لقد غمـرهم الغـرور، فتصوروا أنهم ملكوا الـدنيا والآخـرة، ولم يبـق لهم إلا أن يصيحوا كما صاح فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْـكُ مِصْـرَ وَهَـــذِهِ الْأَنْهَـــارُ تَجْـــرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِـــرُونَ﴾ [الزخرف: 51]

كان في مقدورهم أن يـتريثوا، ولا يسـتعجلوا، حـتى يحضر الوقت المناسـب الـذي يـرون أنهم يمكنـوا أن يستقروا على الكرسي الذي جعلوه هدفهم الأكبر، بل هدفهم الوحيد.

وكان في إمكانهم - من باب السياسة والدهاء - أن يلينوا لمخالفيهم حتى لا يسـتطيع أحـد أن يكسـرهم.. ولكن الغرور والكبرياء اللذين ألبسـوهما اسـم العـزة حـالا بينهم وبين ذلـك، فراحـوا يـدمرون كـل شـيء، ويدمرون معه أنفسهم أيضا.

في ذلـك الحين أتيحت لي الفرصـة لأجـري الحـوار مع أحدهم في قصره الفخم، وقـد توسـلت إلى ذلـك كعادتي بحيلة من الحيل.. لن أذكرهـا لكم طبعـا، ولن أذكـر لكم اسـم محـاوري أيضـا، ولـو أنـه معـروف للجميع.. كانوا يسمعون صدى صوته كل حين في كل القنـوات والإذاعـات والجرائـد والمجلات يتـودد مـرة، ويهدد أخرى.

المهم أن الفرصـة أتيحت لي لأتحـدث معـه حـديث الند للند، وهذا نص الحوار مـع بعض التصـرفات الـتي يقتضيها المقام، وتقتضيها اللغـة، فقـد كـان محـاوري حديدا شديدا يتحـدث بلهجـة فيهـا بعض العنـف الـذي أخشى أن يخدش شعور القراء.

قال لي: لا شك أنك جئتني هذه المـرة لتكـرر علي ما ذكرتـه سـابقا من الـدعوة إلى اللين والسـلام.. أو الخنوع والذلة.

قلت: أجل.. ولكن هـذه المـرة تختلـف.. فـالأحزاب قـد تحـزبت عليكم.. والنـاس قـد شـمروا سـواعدهم يريـــدون رحيلكم.. أو استئصـــالكم.. وقـــد بلـــغ بهم الغضب حده.. فلا تستهينوا بالأمر.

ضحك ضحكة عالية، وقال: ومنذ متى صار للـدهماء والغوغـاء والعامـة رأي؟.. إنهم أحقـر من أن يفعلـوا شيئا.. إنهم والهباء سواء..

قال ذلك، ثم نفخ بفمه على الهواء، ثم قال: سننفخ عليهم مثلما أنفخ على هذا الهواء، ولن ترى بعد ذلـك أحدا منهم.

قلت: ولكنهم حـددوا موعـدا دقيقـا.. وقـد اقـترب أجله.. لعلك نسيته.. إنه الثلاثون من..

قاطعني بقوة، وقال: ثلاثون أو أربعون.. سيمر كما تمر سائر الأيام.

قلت: ولكنهم قد يرشونكم بالماء.. فيبللـونكم.. بـل قد يغرقونكم.

غضب، وقال: من رشنا بالماء سنرشه بالدم.. ومن سبنا بكلمة سببناه بعشر.. ومن حفر لنا حفرة رميناه فيها، وأحرقناه.

قلت: ولكن القـرآن الكـريم الـذي تزعمـون أنكم تريدون تحكيمه على الناس لا يقول ذلك.. انظر كيف يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ : ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَـدُونَ (93) رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَـوْمِ الظَّالِمِينَ (94) وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ (95) ادْفَـعْ بِـالَّتِي هِيَ أَحْسَــنُ السَّــيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَـا يَصِـفُونَ (

96)﴾ [المؤمنون: 93 - 96]

إن دعوة رسول الله ﷺ لأن يدفع بالتي هي أحسن ليست مع المؤمنين، بل مع الكفار المشركين، بل المحاربين الذين استعملوا كل الوسائل لحربه وحرب المؤمنين.

إن القرآن الكريم كله لين وسلام..

إنه يعلمنا كيف نتعامل مع الناس.. مع جميع أصناف الناس حتى الظلمة منهم.. اسمع إليه، وهو يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (35)﴾ [فصلت: 33 - 35]

إن هذه الآية الكريمة تعلمنا كيف نمارس السياسية.. إنها تعلمنا أننا إذا أحسنا إلى من أساء إلينا سنقوده إلى مصافاتنا ومحبتنا والحنو علينا، حتى يصير كأنه ولي لك حميم.

وقد طبق رسول الله ﷺ في حياته ذلك خير تطبيق، فحول أعداءه إلى أولياء، وخصومه إلى مناصرين.

طأطأ رأسه، فطمعت في أن يكون ما قرأته من القرآن الكريم قد أثر فيه، لكنه بعد أن فكر ودبر وقدر صاح: هل أنت أفضل أم اتحاد علماء المسلمين؟.. هل أنت أفضل أم العلامة القرضاوي؟ هل أنت أفضل أم كل العلماء الذين نرجع إليهم كل حين؟ هل أنت أفضل أم أولئك الذين يحفظون القرآن ويصلون التراويح به عن ظهر قلب؟

قلت: وما علاقة هذا بذاك؟ لقد قرأت لك من القرآن الكريم الذي تزعم أنه دستورك ما يدلك على كيفية التعامل مع المخالفين، بل مع الخصوم.

قال: لاشك أن في القرآن أيضا ما يدل على خلاف ما ذكرت.. وإلا كيف تبرر مواقف العلماء العاملين الذين ذكرت لك؟

قلت: ولكن من العلماء من هذه البلدة وغيرها من هم أكثر علما، وأكثر ورعا وزهدا، وهم مع المخالفين، وهم يرددون ما أردد، وينصحونكم بما أنصحكم به.

قال: دعني من أولئك المجرمين.. أولئك سيكونون أول من تسعر بهم الخنادق التي سنوقدها لأعدائنا.. ألا تعرف ما حصل للبوطي الضال المضل؟.. سنفعل بهم مثلما فعلنا به.. لن نخسر عليهم أكثر من فتوى يفتيها اتحاد علمائنا، أو بيان يصدرونه؟

قلت: لكن المسألة أخطر.. إن شعبا كاملا يتجهز لكم.. ألا ترى أنه من الصعب مواجهة شعب كامل؟

قال: لقد تمرن شعبنا على الخضوع للأقوى.. ألم يخضع قبل ذلك للفراعنة.. ثم خضع للماليك وللعثمانيين.. حتى وصل الأمر إلى الذي تعرف.

قلت: إن مطالب هؤلاء الناس بسيطة جدا.. وما دام لكم من القوة والسلطان والغلبة ما لكم، فلم لا تلينون لهم؟.. اقبلوا ما يدعونكم إليه.. وأعيدوا الاستفتاء.. فإن كانت لكم الغلبة برهنتم للمجتمع المحلي والدولي أنكم منتخبون بامتياز.. وصار لكم من الصلاحيات بعدها ما لا يخطر لكم على بال.

قال: وإن لم ننجح.. ماذا سيحصل؟

قلت: حينها تعودون إلى محالكم التي جئتم منها.. وهي محال محترمة.. ولن تفقدوا شيئا.. فقد يجرب

الشعب غيركم.. ثم يعود إليكم.. بل قد تظفـرون من احترامه ما يفوق كل الكراسي والنياشين.

إنكم ستبرهنون للعالم أنكم قوم زاهدون وورعون، وأنكم تحترمون إرادة شعوبكم.

طأطأ رأسـه، فطمعت في أن يكـون قـد تخلى عن بعض كبريائـه، لكنـه رفعـه بشـدة، وقـال: هـل ترانـا حمقى حتى نضحي بالشرعية بهذه السهولة؟

قلت: وما عسـاكم تفعلـون، وأنتم تعلمـون أن كـل شيء بيد خصومكم.. فلينوا.. حتى لا تكسروا.

قال: لقـد مضـى عهـد الكسـر.. ومضـى معـه عهـد السـجون.. لن نسـجن.. ولن نعتقـل.. ولن يحصـل شـيء.. نحن الآن في فـترة التمكين.. نحن الآن في فترة القوة التي لا تقهر.

بعد ذلك الحديث بعشـرة أيـام.. زرتـه في سـجنه.. وقلت له: لا تحزن.. لا تزال الفرص أمامكم.. يمكنكم أن تتراجعوا وتلينوا وتخففوا غلواءكم..

نظر إلي بقسوة، وقال: لا.. لن نلين.. سـوف تـرى كيف يعلق هؤلاء الظلمة على المشانق.

قلت: إن لم ترحمـوا أنفسـكم.. فـارحموا أولئـك العوام البسطاء الذين حولتم حياتهم إلى جحيم.

قال: كيف تريد لنا أن نسجن ويهنئون هم بالعيش.. لن يهنأ أحد بالعيش بعد الآن.. علينا وعلى أعدائنا.

لم أدر ما أقول له.. ولكن كـانت المصـائب تتـوالي عليهم كـل حين.. فمـرة تصـادر أمـوالهم.. ومـرة يوضـعون في خانـة الإرهـاب.. وهم لا يزالـون في كبريائهم وغرورهم، وكـل أمـانيهم أن يخـرب اقتصـاد بلادهم، وتـدمر مقـدراتها.. ولـو أتيح لهم أن يحضـروا

أمريكا والناتو وهتلر ونيرون ليبيد شعبهم لما ترددوا في ذلك لحظة واحدة.

لقد صار لقلوبهم من السواد والحقد ما أعمى بصرهم وبصيرتهم عن النظر في مستقبلهم ومستقبل أولئك البسطاء الذين غرروا بهم.

أرى نفسي بحكم الورع الذي أخبرتكم عنه سابقا مضطرا لأن أذكر لكم الطريقة التي استطعت أن أصل بها إلى هؤلاء المتحاورين الجدد، ذلك أن الطريق إلى الدخول إلى القواقع التي يجرون فيها حواراتهم صعب جدا، بل يكاد يكون مستحيلا.

وقد حسبت في تلك الأيام السنوات التي أحتاجها للوصول إلى رأس نظامهم الهرمي، فوجدته خارج إطار عمري الممدود أو المحدود.. ووجدتني حتى لو وصلت إلى مرتبة أدنى من ذلك بكثير، فإني لن أكون أنا حينها، بل سأكون شخصا آخر تماما.. لأني سأتحول بحركة جوهرية عميقة إلى كيان جديد ليس فيه من ذاتي المتحررة سوى الاسم واللقب، وقد يتغيران في درجة من درجات الهرم، ليذهب بعدها اسمي ورسمي كلاهما.

ذلك أن أول مرحلة تبدأ فيها المسيرة في هذا النظام الهرمي هو محو شخصية الداخل ليتحول إلى أداة ووسيلة عمياء منقادة، بدل كونه إنسانا بصيرا حرا، فأول درس يقدم هناك هو (الجندية) و(الطاعة).. وأول ممارسة سلوكية هي (البيعة) و(العهد)

ولذلك لجأت إلى كبير في قريتنا أستشيره عن كيفية الدخول، ولو لعشر دقائق لسماع ما يدور هناك من حديث..

وقد استفزني إليه - خصوصا في تلك الأيام – الحديث عن مشروع عظيم لتغيير خطير لا يحتاج سوى مائة يوم لا يتعداها ولو بيوم واحد.

لقد زاد عجبي حينها.. لا في المشروع فقط.. ولكن

في الأيام المعدودة التي يمكن أن يتحقق فيها..

عندما ذكرت لقريبي الشيخ ذلك تعجب هو الآخر، وراح يفكر معي في الحيلة التي نستطيع بها أن ندخل تلك السراديب، ونقتحم تلك الكواليس.

وبما أن قريبي كان ملما بما يسميه علوم الحكمة وأسرار الحروف.. وغيرها.. فقد قال لي: لاشك أن هؤلاء ظفروا بالخاتم الذي ضاع منذ زمان طويل.. لقد قرأت كل كتب الحكمة، ومارست جميع الطقوس.. وحرقت جميع أنواع البخور لأحصل عليه.. فلم أستطع.. فكيف تسنى لهم ذلك . لا شك أن لهم قدرة سحرية عجيبة..

ثم التفت إلي، وقال: لقد شوقتني يا ولد إلى الدخول إلى عالمهم..

سكت هنيهة، ثم صاح: وجدتها.. وجدتها..

قلت: ما وجدت؟

قال: تستطيع أن تقتحم قوقعتهم حتى لو كانت من خرسانة مسلحة.. وتستطيع أن تدخل عالمهم حتى لو كان محصنا بالجن الأزرق والأحمر.

قلت: كيف؟

قال: لدي بعض الأسماء.. سأسلمك إياها.. رددها فقط مئات الآلاف من المرات.. وستجد نفسك حينها بينهم تراهم ولا يرونك.. لكن لا تنس أن تحضر لي معك التميمة التي استطاعوا أن يتحصلوا بها على خاتم النهضة العجيب.. بل إن استطعت أن تحضره معك فافعل.. فما أجمل أن يكون لدى كل واحد منا خاتم نهضة!

أعطاني سيدي الشيخ تلك الأسماء.. وطبعا لن

أذكرها لكم فقد عاهدته على ذلك.. وعندما وصلت إلى رقم مكون من أربع سبعات أو خمسة.. وجدت نفسي أتحرك بشفافية، وكأنني صورة لا جسد يحملها.. كنت أرى الناس، بل أدخل في ثنايا أجسامهم من دون أن يشعروا بي.. بل استطعت أن أخترق جبلا من دون أن يشعر بي هو الآخر.

طبعا.. قضيت بعض الساعات مستمتعا بعالم تحولي إلى صورة.. لكني بعد أن ذهب الانبهار خطر على بالي الدخول إلى القوقعة التي كنت أبحث عن الأسرار التي تجري في خلالها.

دخلت بعض المقرات المحترمة.. وتنصت على بعض القيادات المهمة إلى أن عرفت أن هناك إجتماعا سريا جدا سيعقد ذلك اليوم، وفي مكان لن أسميه طبعا لدواع أمنية.

دخل المجتمعون صفوفا متراصة منتظمة ممتلئة بالاحترام.. وكان الكثير منهم يشبهون الإنسان الآلي.. حتى أني قرصت أحدهم لأتأكد: هل هو إنسان حقيقي أم لا؟ وطبعا لكوني صورة لم يشعر بقرصتي.. ولكني رأيت داخل أذنه جهازا صوتيا اقتربت منه.. فسمعت فيه لغة غريبة اكتشفت أنها الرموز التي يتلقى بها هؤلاء الأوامر.

خفت أن يكون حوارهم بعد ذلك من جنس تلك الرموز الغريبة.. لكن بحمد الله.. لم يكن كذلك.

دخل المرشد أولا.. وجلس في أعلى المنصة.. ثم دخل اثنان وجلسا دونه.. ثم دخل أربعة.. وجلسا دون السابقين.. ثم ثمانية.. ثم ستة عشر.. وهكذا بمتتالية هندسية لم أحص نهايتها.

وجدت محلا صالحا أمام المرشد، فرحت أجلس بجانبه، فقد كان أكثر الأماكن رفاهية، وكان سماع

الحـــوار بصـــورة دقيقـــة.. لأني قـــرأت في بعض المنشـــورات هنـــاك أن الحـــوار فقـــط ســـيكون بين الصفوف الثلاثة الأولى.. أما سائر الصفوف.. فـدورها فقط هو تنفيذ الأوامر التي ترد إليهم.

بــدأ الحــوار من ســؤال من الصــف الثــاني حــول مشروع النهضة.. فكدت أطير فرحا.

قال السائل: يا مولانا المرشد.. أطال الله بقـاءك.. وأدام عـزك.. ألا تـرى أن الأيـام المئـة الـتي حـددتها أدنى من أن تحقق هذا المشروع الضخم؟

ابتســم المرشــد ابتســامة صــفراء، وقــال: أجــل.. صحيح.. الأيام المئة لا تكفي لأن تقيـل النـائب العـام، فكيف تكفي لمشروع النهضة؟

قال آخر: النائب العام!.. ومـا علاقـة النـائب العـام بمشروع النهضة؟

قال المرشد: النائب العام هو الحجـرة الأولى الـتي نحتاج إلى قلعها لإقامة مشروعنا.

قال آخر: وهل هناك أحجار الأخرى؟

قــال المرشــد: أجــل.. الكــل.. الدولــة العميقــة.. والدولــة الســطحية.. الأقــزام والعمالقــة.. الشــرطة والعسكر.. الفنانون والإعلاميون.. كلهم حجــارة.. ولا يمكن أن تقوم لنا قائمة في ظل وجودهم.

قــال آخــر: لكن كيــف.. ألا تــرى من الصــعب فعــل ذلك؟

قال المرشد: بمشروع النهضة نفعل ذلك.

قال الأول: ولكن المــدة الــتي حــددتموها لمشــروع النهضة لا يمكن أن تفعل شيئا.

قال المرشد: أجل.. لقد قلت لي ذلك سابقا.. أذكره جيدا.. وقد أجبتك، ولا حاجة لإعادة الجواب.

قال آخر: يا مولانا.. هلا تفضلت وشرحت لنا الكيفية العملية التي يمكننا من خلالها أن ننفذ هذا المشروع.

ابتسم المرشد، وقال: هذا ما أريده منكم.. الكيفية العملية.. نحن قوم عمليون.. ولا يصح أن نبقى نسأل ونسأل..

الكيفية العملية بسيطة جدا.. وهي أن نتغلغل في كل المؤسسات لنزيح تلك الحجارة التي تحول بيننا وبين تحقيق مشروعنا.

ثم قهقه قليلا، وقال: أما مشروع النهضة.. ومائة يوم.. فهي وسيلتنا لتحقيق ذلك.. فالناس كما تعلمون يحبون الأرقام، ويحبون الأرقام القريبة العاجلة.. ولو ذكرنا لهم أن مشروع النهضة سيستغرق مائة عام لأنفوا وشمخوا بأنوفهم، وللجأوا إلى أعدائنا.. ولذلك لم نفعل سوى أن حولنا (العام) إلى (يوم)، فبدل مائة عام صارت مائة يوم.

ثم رفع رأسه إلى السماء، وقال: في جلسة من جلساتي التدبرية مع القرآن الكريم لاحت لي هذه الفكرة.. لقد قرأت قوله تعالى: وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ [الحج:47]

فقلت في نفسي: أجل.. لم لا نستفيد من هذه الآية في مشروعنا.. فما الفرق بين مائة يوم أو مائة عام..

وبما أن البشر بطبيعة العجلة التي يحملونها، لن يرضوا مشروعا بمائة عام.. فقد اختصرت مائة عام

في مائـة يـوم.. وأمـرتكم بالتبشـير بمشـروع نهضـتنا الذي لن يكلفنا سوى مائة يوم.

صاح اللذان في الصف الأول بالتكبير والتحميد.. ثم صـاح من بعـدهما.. ثم من سـائر الصـفوف إلى أن صمت أذناي من كثرة الأصوات وارتفاعهـا.. وللأسـف كان لتلك الأصوات تأثيرها الخطير على طاقة الإخفاء التي بذلت جهدي في الحصول عليها.

لهذا لم أجد نفسـي إلا في المحـل الـذي كنت فيـه أشم أريج البخور، وأردد الأسماء بلا شعور.

رفع المصاحف

لا أخفي عليكم – معشر القراء الأعزاء – أني مع كوني مسلما، ولا أقدس في حياتي شيئا كما أقدس القرآن الكريم، والسنة المطهرة:

ذلك أن الأول هو كلمة الله الأخيرة للبشرية، وهو الكلمة التي تسمع الصم، وتحيي الموات، وتخاطب النفس من أعمق أعماقها.

وأما الثاني فهو هدي رسول الله ﷺ الذي اختاره ربه ليكون أنموذجا مثاليا يقتدي به الخلائق جميعا، وهو الواسطة الإلهية لكل الكمالات الإنسانية وغير الإنسانية.

ولكني مع هذا التقديس أكره المتاجرة بهذا الكتاب العظيم، كما أكره المتاجرة بالسنة المطهرة.

وكان أول من زرع هذه الكراهية في نفسي ذلك الجيش الذي عندما أحس بالهزيمة رفع المصاحف، ليستخدمها وسيلة لتحقيق مآربه الخسيسة.

وبقيت المصاحف ترفع في كل الأجيال، وبيد كل المنافقين والكذابين والدجالين إلى أن جاء عصرنا الحديث، فأصبحت تجارة رفع المصاحف تجارة رائجة يلجأ إليها كل حزب أو حركة أو توجه لم يجد له من الناس من يقف بجانبه، لكنه ما إن يرفع المصاحف، ويقول:

(أيها الناس تعالوا لنتحاكم إلى هذا المصحف)، تجد الناس خلفه يسيرون.. شعروا أو لم يشعروا.

لن أطيل عليكم.. بل سأقص عليكم قصة حوار جديد حول هذا الموضوع، وهو يتعلق بصديق لي، ولذلك لن أسميه خوفا على نفسي من جهة، وخوفا على أن تنصرف تلك الجماهير الكثيرة التي وثقت به، ورفعته إلى أعلى المناصب، مع أن المسكين ليس له أي برنامج.. بل ليس له أي كفاءة علمية ولا عملية إلا كفاءة الكنس والطبخ والحراسة.

وقد جاءني قبل أن يفكر هذا التفكير يطلب مني أن أتوسط له لدى مدير الجامعة التي أعمل فيها ليعمل أي عمل.. كناسا.. أو طباخا.. أو حارسا ليليا.. أو نهاريا.. المهم أن يعمل، ويتخلص من البطالة التي طال عليه أمدها.

لكني أخبرته أني أقل شأنا من أن أكون واسطة، لأني إن تقدمت بأي طلب للمدير فإنه سيعتبر ذلك مني جسارة، وتعد لحدودي، ولذلك فإن علي أن أتقدم بالطلب أولا إلى من هم دونه إلى أن يصل الطلب إليه أخيرا بعد أن أكون قد استغنيت عنه أو فات أوانه.

نظر إلي صديقي بأسف، وقال: واحسرتاه فيك، كنت أظن أنك تستطيع أن تخدمني.. ولكن لا بأس.. سأعرف كيف أتصرف مع هذا المدير وأمثاله..

ضحكت في نفسي من غير أن أسمعه، وقلت له: وما الذي تستطيع أن تفعل أيها المسكين؟

ابتسم، وقال: سأفعل ما فعله الجميع.. ابتداء من ذلك الجيش المنهزم الذي استطاع أن يحول هزيمته إلى نصر، أو ما يشبه النصر.. وانتهاء بكل الأجيال التي استطاعت أن تضحك على من تشاء كيف تشاء.

قلت: لم أفهم مرادك.

قال: أليس لديك بعض المصاحف لتعيرها لي.. لا تقل: إن هذا أيضا ليس في إمكانك.

قلت: بلى.. هذا في إمكاني.. بل يسرني كثيرا أن تهتم بقراءة القرآن الكريم، وتنشره، اذهب إلى أي مكتبة، واشتر أي عدد شئت من المصاحف، وسأدفع ثمنه.. ألا تعلم أني سأنال أجر كل من قرأ من هذه المصاحف؟

ابتسم، وقال: لا بأس.. سأفعل.. ولكن أريد – بحكم الصداقة التي بيننا – أن أخبرك بأنني لا أريد بهذه المصاحف ما تريد.

قلت: وما الذي تريد منها إذن؟

قال: أرفعها كما رفعها سلفي.. أليس اتباع السلف سنة؟

قلت: السلف الصالح.. لا السلف الطالح.. فأي سلف تقصد؟

قال: لقد اجتمع سلفنا في يوم من الأيام في صفين.. وأنا أريد أن أقتدي بالسلف الذين رفعوا المصاحف.

قلت: ويلك.. تلك الفئة الباغية الظالمة.. إنها رفعت المصاحف زورا وبهتانا.. وهي في حقيقة حالها لم تكن ترفع المصاحف، وإنما كانت تهينها وتدنسها.

قال: ولكنها استطاعت أن تحقق مآربها.

قلت: أي مآرب خسيسة حققت إنها لا تعدو حطاما قليلا من الدنيا.. أما في الآخرة فإن جزاءها عند الله عظيم.. ألم تقرأ ما ورد في الحديث: (قراء القرآن ثلاثة: رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة فاستحرمه الملوك واستمال به الناس، ورجل قرأ القرآن فأقام حروفه وضيع حدوده، كثر هؤلاء من قراء القرآن لا كثرهم الله تعالى، ورجل قرأ القرآن فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله وأظمأ به نهاره وقاموا في مساجدهم وحبوا به تحت برانسهم، فهؤلاء يدفع الله بهم البلاء ويزيل من الأعداء وينزل غيث السماء، فو الله لهؤلاء من القراء أعز من الكبريت الأحمر)

وفي حديث آخر: (من قرأ القرآن يريد به السمعة والتماس شئ لقي الله عزوجل يوم القيامة ووجهه عظم ليس عليه لحم... ومن قرأ القرآن ولم يعمل به حشره الله يوم القيامة أعمى فيقول: ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ

آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)
[سورة طه:125-126]

وورد في الأثر: (إن من الناس من يتعلم القرآن ليقال فلان قارئ، ومنهم من يتعلمه فيطلب به الصوت فيقال فلان حسن الصوت، وليس في ذلك خير، ومنهم من يتعلمه فيقوم به في ليله ونهاره، لا يبالي من علم ذلك ومن لم يعلمه)

بعد أن أوردت هذه النصوص المقدسة بطريقتي الخاصة حتى أؤثر فيه، نظر إلي بابتسامة سخرية، ثم قال: كلامك جميل.. ولكنه عاطفي جدا..

ثم انصرف عني، وهو يقول: لقد ظللت أقول لكل من ألتقي به بأنك لن تفهم الحياة، ولذلك لن تصل لشيء.. ومع ذلك إن أساء إليك هذا المدير فأخبرني حتى أقيله من منصبه، وإن شئت أن أضعك بدله فعلت.. لكن بشرط أن تحمل مصحفا وتسير معي.

لم أجد ما أقوله له، فقد كنت أتصور أن الأمر مجرد سخرية، لكني ولغبائي، ولعدم فقهي بالحياة كما ذكر، قلت له: لا بأس إن استطعت أن تقيله من منصبه، فلا تنس أن تقيلني معه أنا الآخر.

حرك رأسه بالموافقة، ثم قال: أجل.. لن يكون لك إلا ما تريد.. لكن إياك أن تتوسل إلي لأعيدك لمنصبك.. فإني لا أحب أن أتعامل مع

الآخرين بما تقتضيه العاطفة.. فالعمل عمل، والصداقة صداقة.

قال لي ذلك، ثم انصرف، ولم ألقه بعدها فترة طويلة.. لكني ذات يوم، وفي أثناء الحملة الانتخابية المسعورة رأيته.. لا أمامي وإنما على شاشة التلفاز، كان يحمل مصحفا في يده، يرفعه ويخفضه بقوة، وهو يقول: هذا هو الحل.. وهذا هو البرنامج.. وهذا هو المشروع.. وهذا هو الدستور.. ومن رغب عنه فلن يفلح لا في الدنيا ولا في الآخرة.. ومن أقبل إليه وقبله أقبل كل خير إليه..

بقي يقول هذا، ويردده، ويمسح كل حين لحيته التي أطالها كثيرا، لتملأ الفراغ الكبير الذي يسكن دماغه.

لا أخفيكم أن كلامه كان مؤثرا جدا حتى بالنسبة لي، ولذلك عندما ذهبت لأشارك في الانتخابات، ووجدت الأحزاب المختلفة، لم أستطع أن أشطب عليه لأني كلما هممت بفعل ذلك تصورت أني أشطب على القرآن الكريم نفسه..

مرت الانتخابات، وفاز بأغلبية ساحقة، ثم تشكلت لجان مختلفة، وكان دائما هو الرئيس أو نائب الرئيس إلى أن نال منصبا حساسا جدا، وفي الوزارة المكلفة بالجامعات.

لم يمض على تعيينه أيام معدودة حتى سمعت بأن مدير الجامعة التي أعمل فيها قد

أقيل من منصبه.. أصابني الهلع من أن أقال أنا الآخر، لكني كنت أطمئن نفسي بأن هذا صديقي، وأنه لن يفعل بي شيئا.. لكني فوجئت في اليوم الموالي بإقالتي أنا الآخر بحجج لست أدري أي شيطان رجيم لفقها علي.

كانت في بعض عزة النفس، فلم أذهب إليه لأتوسل أو أستجدي، لكن أهلي وبعد أن ذاقوا بعض مرارات البطالة ألحوا علي في أن أذهب وأقبل يديه ورجليه حتى يعفو عني.

لم أجد إلا أن أفعل.. ذهبت إليه، فوجدته ينتظرني، وهو يقول: لم لم تأت كل هذه المدة؟.. ألا تزال تجهل الحياة؟.. ألا تزال تسير بحسب العواطف؟

كانت له هيبة منعتني من الحديث إليه، والجدل معه، خشية أن يحصل لي مثلما حصل لي في المرة السابقة.

فهم ما أريد، فقال: لا بأس.. سأعيدك إلى منصبك.. ولكن بشرط واحد هو أن تكنس جميع أقسام الكلية التي كنت تعمل بها.. وتعمل في المطبخ أسبوعا.. وتحرس شهرا.. إن قبلت هذه الشروط عدت إلى عملك.. وإلا فلن أفعل لك شيئا.

بعد أخذ ورد شديدين معه، خفف الشروط المتعلقة بالحراسة، فلم يكلفني إلا بحراسة أسبوع واحد.

عندما خرجت من مكتبه الفاخر، راقبته

لأنظر كيف هي حياته الجديدة، وكان عجبي شديدا لا أستطيع أن أصوره.. لقد لاقاه السائق بمجرد خروجه، وفتح له باب السيارة.. ثم أوصله إلى قصر فخم لم يكن يراه حتى في الأحلام.. وقد رأيت في حديقة قصره كل تماثيل النسور والفهود والغزلان، ولكني لم أر صورة واحدة للمصحف.

انشقاقات باسم الإسلام

من الأمور المفزعة التي كنت أحتار فيها دائما، ولا أعلم لها سببا معقولا كثرة الانشقاقات في صفوف الحركات الإسلامية بأنواعها المختلفة: السياسية والجهادية والسلفية، وغيرها(1) .

لقد ظللت أقول لنفسي: لم يتصدعون كل هذه التصدعات، ودعوتهم واحدة، ومصدرهم الذي يقدسونه واحد، وهيئة صلاتهم وصومهم وحجهم واحدة.. وفوق ذلك كله هم يرددون كل حين قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال: 46]

ويذكرون الناس بأن ﴿ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [الأنبياء: 92]

ويصرخون على المنابر مخاطبين الجماهير العريضة كل حين بأن من أكبر العقوبات الإلهية

---

1) وهي من الظواهر المعروفة في صفوف الحركات الإسلامية بأنواعها المختلفة، ففي لبنان مثلا استقل المؤسس للعمل الإسلامي في لبنان الدكتور فتحي يكن، بتنظيم جديد أسماه جبهة العمل الإسلامي، كذلك الأمر في العراق، حيث انقسم الإسلاميون إلى فصيلين، بل إلى عدة جبهات، الحزب الإسلامي بزعامة الدكتور محسن عبد الحميد، وحارث الضاري رئيس هيئة علماء لمسلمين، ولكل من التنظيمين برنامج سياسي وإعلامي مستقل.. وفي السودان نرى الخلاف المشهور بين الترابي والرئيس البشير.

أما في الجزائر، فحدث ولا حرج، فالمتابع لمسيرة الإسلاميين الجزائريين بمختلف أحزابهم وحركاتهم، يرى بوضوح ظاهرة الانشقاقات المتكررة في صفوفهم، بحيث انقسمت الحركة إلى حركتين أو ثلاث، وانشطر الحزب إلى شطرين أو أكثر، بحجج مختلفة مثل تصحيح المسار، والفرار بالمنهج، وانحراف المسيرة، واستهلاك الرصيد، وتجديد النضال بوسيلة مختلفة شكلا ومضمونا.

الاختلاف والتنازع والعداوة، ويذكرون لهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: 14]

ويضربون لهم مثلا على ذلك بما حصل في غزوة أحد، والتي نزل فيها قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 152]

ويرددون مع هذا كله ما ورد من الأحاديث الشريفة الكثيرة الناهية عن الفرقة والاختلاف.

ولكن مع ذلك كله كانت تلك الآيات وتلك الأحاديث لا تتجاوز حناجرهم.. فالواقع واقع عداوة وبغضاء وشحناء لا بداية لها ولا نهاية.

وقد ظللت زمنا طويلا أتأسف لهذا وأتألم له، وخاصة عندما أرى غير المسلمين ينظرون ساخرين إلى دعاة الإسلام، وهم يتصدعون كما يتصدع الصخر، بل كما تتصدع التربة التي لا تسقى أمدا طويلا.

ولم يكن ألمي بسبب أولئك الدعاة، فهم بشر، ولا شيء فيهم يجعل المرء يحزن عليهم، ولكن ألمي هو بسبب الإسلام نفسه، ذلك الدين العظيم الذي يوحد الخلائق جميعا، ويوجهها نحو ربها توجيها مليئا بالجمال والمحبة والسلام، والذي جعله هؤلاء وسيلة للفرقة والتنافر والتناحر.

لقد كنت أصيح من حيث لا يسمعني أحد: (أيها المنشقون.. اتركوا الإسلام الذي تتاجرون به،

وتصدعوا كما يحلوا لكم.. لا تجعلوا الناس ينظرون إلى الدين وكأنه سبب ما يحصل لكم من خلاف.. لا تجعلوا الناس يضحكون على الإسلام.. البسوا كل عباءة، واتركوا عباءة الإسلام التي تتباهون بها.. مارسوا شهوة التصدع التي تلتذون بها تحت عباءة الشيوعية أو الليبرالية أو الجمهورية.. أو أي اسم من الأسماء التي يتداولها الساسة، واتركوا الإسلام الجميل في حاله ولأهله، ولا تحجبوا الناس عنه بلعبكم الصبيانية)

كنت أقول هذا متألما، ولم يكن يسمعني أحد، لأن الإعلام كان غاصا بأخبار المنشقين على أنفسهم، وبالصراعات الكثيرة التي تجعلهم ينشرون غسيلهم كل حين بأبشع عبارات البذاءة والفحش.

ذات يوم.. والألم لا يزال يسري في نفسي على أشد ما يكون، قرأت خبرا جميلا نشرته صحيفة أتصور أنها محترمة، لأنها الوحيدة التي نشرت هذا الخبر، أما سائر الجرائد فاكتفت بنشر غسيل المتصارعين.

كان الخبر قصيرا، ولكنه مهم جدا، لقد ذكرت أن ممثلين من جميع الأحزاب المنشقة على بعضها، سيجتمعون، ليزيلوا الخلافات بينهم، ويعودوا إلى العمل في المتفق عليه.. وذكرت كذلك أن جمعا من كبار العلماء سيحضرون أيضا ليذكروا المنشقين بضرورة رأب الصدع، وتوحيد الصف.

لم أكن حينها بحاجة إلى طاقية إخفاء، ولا إلى ترديد أي أسماء، ولا إلى حرق البخور، لأن الاجتماع كان عاما، وكان يمكنني أن أحضره بسهولة كمتفرج طبعا.

حملت قلم رصاصي وأوراقي القليلة، وذهبت إلى

الاجتماع، وحضر الجميع، وجلسوا على المنصة، وعلى أرائك متجاورة، وكان الكل يبتسم للكل، وكانت الأيدي تسارع إلى المصافحة.. وكان المنظر من أجمل المناظر.. فها هو الصدع الذي أرقني كثيرا يزول، وهاهو الشقاق يتحول إلى وفاق، وها هو التنكر والصراع يتحول إلى ألفة وسلام.

لكن الأمر لم يدم طويلا.. فسرعان ما بدأ الباطن يرشح بما فيه ليزيل كل تلك المساحيق التجميلية عن الوجوه الممتلئة بالتصنع الكاذب.

وقد بدأ الشقاق أول ما بدأ بسبب تقدم أحدهم ليكون أول من يتكلم.. حينها غضب أحد الحاضرين، وقال بكل قوة، غير مراع لحشود المتفرجين: ما هذا يا جماعة؟.. منذ متى صار هذا الرويبضة الإمعة يتصدر المجالس، وتستهل به الأحاديث.. إنه فاسق بن فاسق وفاجر بن فاجر ذلك الذي يضيع وقته بالاستماع له.. فاهنئوا بالاستماع.. ولن أبقى هنا لحظة واحدة.

خرج الرجل، وخرج معه مناصروه يلعنون الحاضرين جميعا، ولا يستثنون أحدا.. حتى أنا البسيط الذي لا علاقة له بطرف من الأطراف أمطروا علي من وابل لعناتهم ما بلل جميع ثيابي.

قلت في نفسي: لا بأس.. الخير فيما بقي.. وفيمن بقي..

ثم التفت لمجاوري، وقلت له، وكأنني أسري عنه: الحمد لله.. ذهب واحد فقط، وبقي عشرة..

قال لي مجاوري: ولكن ذلك الواحد هو أكبر الأحزاب، وأكثرها شهرة.

قلت له: لا بأس.. سيعوض الله بالتسعة الباقين،

فعندما يتوحدون سيصبحون كائنا ضخما لا يمكن لأحد أن ينافسه.

بعد ربع ساعة أخرى، وبعد انتهاء حديث الأول، نظر المنظم إلى الحاضرين ليطلب منهم أن يعينوا هم من يتكلم ثانيا.. وهنا حصل خلاف ثان خرج بسببه اثنان وبقي سبعة.. وحمدت الله على السبعة، وتفاءلت بها.

لكن السبعة لم تبق سبعة إلا قليلا، فقد حصل الخلاف بينها، وكان السبب بسيطا جدا هذه المرة، وهو الخلاف حول اسم الائتلاف الجديد، فقد رأى ثلاثة من الحاضرين أن يسمى بـ (ائتلاف المودة)، ورأى ثلاثة آخرون أن يسمى بـ (ائتلاف السلام)، ورأى السابع أن يسمى بـ (ائتلاف العدالة)

وعندما رأى السابع أنه بقي وحده، وليس معه أحد انصرف هو الآخر، يصب لعناته على الحاضرين والمحضرين..

بقي الفريقان، فحمدت الله، وقلت في نفسي ولمجاوري: لا بأس.. لقد كانوا عشرة أحزاب، والآن سيتحولون فقط إلى ستة أحزاب، والستة خير من العشرة.

قال لي مجاوري: لا تحلم كثيرا.. فما زال هناك الكثير حتى تفرح.

بدأ الفريق الثلاثي الأول، والذي اختار لنفسه اسم (ائتلاف المودة)، اجتماعاته الخاصة لتوحيد صفه، وكان أول ما طرح اسم القائد الجديد لذلك الائتلاف، وهنا حصل الخلاف الشديد بين الأعضاء، فالكل يريد أن يكون القائد من فريقه، ويبرر ذلك بكل المبررات، وهنا انشق الثلاثة عن ثلاثة، ولم يبق من الجماعة غير (ائتلاف السلام)، فتفاءلت باسم السلام، وزاد من

تفاؤلي أن هذا الفريق لم يصعب عليه توحيد القيـادة، فسرعان ما اختـار قائـده.. لكن خلافـا بسـيطا حصـل حــول تحديــد المقــر الــذي تقــع فيــه الاجتماعــات والمؤتمرات رأب الصدع من جديد، فخرج كل طـرف من (ائتلاف السلام) يلعن الحاضرين والمحضرين.

عدت إلى بيتي خاوي الوفاض من كـل تلـك الآمـال التي حملتهـا معي، ولكـني عـرفت الكثـير من أسـرار الانشقاقات والتصدعات.

في الصــباح رحت أقــرأ في الجرائــد الــتي تنشــر الغسيل، فكدت يغمى علي.

لقد رأيت أن العشرة تحولت إلى عشرين..

وذلك بسبب انشطار بسـيط حصـل في كـل حـزب من الأحزاب، فقد حمَّل الراغبـون من كـل حـزب في الائتلاف مـا حصـل من الانشـقاق لـرئيس حـزبهم، ثم انشقوا عليه ليشكلوا حزبا جديدا.

دعيت في ذلك العـام إلى بلـدة عريقـة جميلـة من بلاد الإسـلام، وذلـك لحضـور مـؤتمر علمي حـول (التنمية الاقتصادية ومشاريعها)

كان المؤتمر ممتلئا بالباحثين في جميع التخصصات الاقتصادية وغير الاقتصادية، وكان أيضـا ملمـا بشـمل جميـع التوجهـات الفكريـة: اليمينيـة واليسـارية.. والمعتدلة والمتطرفة.. وكان الكـل يحـاول أن ينتصـر لمشـروعه، ويـأتي بجميـع الـبراهين الفلسـفية والمنطقية والواقعية، بل حـتى الرياضـية الدالـة على سلامة مشروعه ونجاعته.

كان الصـراع صـراع مـذاهب وأفكـار.. وكـان الكـل يحاول أن يجذب الكل لتياره.

وكـان لكـل جهـة إعلامهـا الخـاص، ودعاتهـا الـذين يحـاولون بشـتى الوسـائل أن يسـتقطبوا الحضـور لسماع مشاريعهم.

كـان الجـو بالنسـبة لي جميلا جـدا، فمـا أجمـل أن يلتقي المختلفون في ظل المودة والسـلام والحـوار.. وما أجمل أن تستبدل أصوات الرصاص والمتفجـرات بأصوات الحروف والكلمات.

لكن شـيئا مـا أحزنـني إلى درجـة أني تمـنيت لـو حضرت الأديان والمـذاهب والتيـارات الفكريـة جميعـا ولم يحضـر إلا الإسـلام.. لا لأن الإسـلام ليس لـه مشروع اقتصادي، وإنما لكون الذي جاء يشرح للناس المشـروع الاقتصـادي الإسـلامي كـان من البلاهـة والغفلة والحمق ما جعل الجميـع يضـحكون سـاخرين من الإسلام، ومن كل ممثل للإسلام.

حاولت حينها أن أصـيح في النـاس: إن هـذا كـذب،

وإن هذا الرجل دجـال.. ولكن لم يسـمعني أحـد.. لأن شـهرته الواسـعة ولحيتـه الطويلـة، وقامتـه الفارعـة، وقـده الممشـوق، وتلاميـذه الكثـيرين الأجلاف الغلاظ حالوا بين صوتي وبين أن يستمع له أحد من النــاس.. ولذلك راحت كلماتي مع الريح..

لن أكـــون مغـــرورا ولا متعصـــبا، فقـــد أكـــون أنـــا المخطئ في تلك الصيحة، ولهذا سـأنقل لكم الحـوار بدقـــة وشـــفافية عســـى صـــياحكم لا يبقى حـــبيس صدروكم، مثلما بقي مسجونا في صدري:

في ظل تلك الأجـواء الممتلئـة بالحماسـة.. سـمعنا رجلا يصـيح في الحضـور، ولسـت أدري من أي قبيلـة أتى، ولا من أي زمن.. ولكن مظهـره وكلماتـه كـانت تـدل على أنـه من زمن غـير زماننـا، وربمـا من أرض غير أرضنا.

كـان يصـيح بصـوت جهـوري: أيهـا النـاس.. هلمـوا لتسـمعوا المشـروع الاقتصـادي الـذي ينسـخ جميـع مشاريعكم.. إنـه مشـروع سـماوي.. وليس مشـروعا أرضيا.. إنه هدية الله للبشـرية.. إنـه المشـروع الـذي يخلصنا من كل فاقة وفقر.. بل إنه يقتل الفقر قتلا.

اشر أبت جميع الأعناق إلى مصدر الصوت، ولم تدر إلا وهي تسير خلفه متخليـة عن تلـك الحماسـة الـتي كانت تنتابها، وهي تعرض مشـاريعها، فـأنى لمشـاريع الأرض أن تقف مع مشروع السماء.

ســرنا فــترة من الــزمن إلى أن وصــلنا إلى خيمــة تتربع في ساحة واسعة.. كانت الخيمـة بهيـة المنظـر وكأن نسـيجها من حريـر خـالص، وكـان داخلهـا رجـل يجلس علي كرسي مرتفـع، وقـد أحـاط بـه جمـع من الناس، وكأن على رؤوسهم الطير.

لا أستطع– طبعا، بسبب الحرص على سلامتي – أن أذكر لكم اسمه.. فإني أخاف أن يحين حيني قبل أوانه إن فعلت ذلك..

المهم أني انتحيت ناحية.. ورحت أسمع الحوار الذي جرى بين تلك القيادات الفكرية.

كان أول سؤال للشيخ: ما هو مشروع الاقتصادي الذي يمكنه أن يقوم بكل تلك الأدوار الخطيرة؟

سكت الشيخ هنيهة، وكأن الوحي يتنزل عليه، ثم قال: إنه مختصر في كلمة واحدة..

قالوا جميعا بصوت واحد: ما هي؟

صوب نظره إليهم كما تصوب السهام، ثم قال: الجهاد..

بهت الجميع، ورددوا بصوت واحد: الجهاد !؟ ما تعني؟

حملق فيهم بقوة، وقال: نعم.. الجهاد.. إنه الحل الرباني الذي يقضي على الفقر والتخلف..

قال أحد الحضور: نعم.. فهمت.. أحسنت.. ذلك هو الحل.. لابد من الجهاد الأكبر الذي يعني الاجتهاد في العمل والكسب والسعي في طلب الرزق.. أحسنت..ما تقوله صحيح.

قاطع الشيخ المتدخل بقوة، وقال: اسكت أيها الأحمق.. أنت تريد أن تحرف معاني المصطلحات الشرعية.. الجهاد هو الجهاد.. وليس الجهاد إلا الجهاد.. ولم يكن الجهاد في يوم من الأيام إلا الجهاد.

قال الرجل، وقد غضب هو الآخر: سمعنا الكلمة.. ولكنا لم نفهم بعد ما تريد منها.

قال الشيخ: أريد أولا أن تغرس هذه الكلمة في أذهانكم.. فقد نساها الناس للأسف.. ولذلك مرغوا في مستنقعات الذل والهوان.. ولو أنهم التزموا الجهاد لتخلصوا من كل فاقة، ولحصلوا كل حاجة، ولعاشوا سعداء في أرغد عيش وأطيبه.

قال الرجل: فما تعني بالجهاد؟

قال الشيخ: الغزو.... الجهاد هو الغزو.. وليس الجهاد إلا الغزو.. ولم يكن الجهاد في يوم من الأيام إلا الغزو.

قال الرجل: فهمت.. أنت تريد أن نجاهد التصحر الذي يغزو سهولنا، والجفاف الذي يغزو أنهارنا.. والبطالة التي تغزو شبابنا.. والفساد الذي يغزو مؤسساتنا.. أحسنت فكرة طيبة.

قال الشيخ بغضب: أيها الأبله.. ألا تفهم.. الجهاد هو أن نحمل السيوف.. ونسير في الأرض؟

قال الرجل: فهمت.. فهمت.. تقصد أن نقوم بإنتاج أفلام سينمائية تاريخية.. إنها فكرة جيدة.. الناس يحبون الأفلام التي يسمعون فيها صلصلة السيوف وقعص الرماح.. آه ما أدهاك يا شيخ لم أكن أتصور أبدا أنك تحب السينما.. أنت رائع حقا.. لقد أصبحت السينما في الوقت الحالي تدر على أصحابها الأموال الضخمة.

غضب الشيخ غضبا شديدا، وقال: أي سينما تقصد أيها الأبله؟.. السينما حرام.. والتمثيل حرام.. والممثلون حرامية.

قال الرجل: فهمت.. حقا.. صدقت.. كثير من الأفلام تحث على الرذيلة ولذلك هي حرام.. أنت تريد أن تضع البديل لذلك بسينما نقية..أحسنت فكرة

طيبة ورائدة.. ولها مدخول اقتصادي مهم.

وقف الشيخ من شدة الغضب، وقال – وهو يلوح بعصا في يده -: كل السينما حرام.. وكل تمثيل حرام.. وكل شيء حرام.. لقد صدعت رأسي بخفة عقلك.. دعني أشرح مشروعي ولا تقاطعني وإلا أفتيت فتوى في حقك: أعتبرك فيها مرتدا.. وأستبيح فيها دمك ومالك.. بل أحز بيدي هذه رقبتك.

وضع الرجل يده على رقبته، وأصابته رجفة شديدة، ولم أسمعه بعدها ينبس ببنت كلمة، ولا بابنها.

جلس الشيخ، وأخذ نفسا عميقا، ثم قال: الجهاد هو المشروع الرباني الذي يخلصنا من كل فاقة وفقر.

اسمعو جيدي شرحي الفريد لسر ذلك، وهو شرح لم يسبقني إليه أحد.. لن أشرح لكم بالفصحى.. فالكثير منكم على ما يبدو أميون لا يعرفون اللغة العربية البليغة.

ولهذا سأتكلم معهم بلهجتنا المحلية البسيطة.. ولا يقاطعني أحد منكم حتى لا ينقطع تسلسل أفكاري..

(مش لو كنا كل سنه عمالين نغزو مرة أو مرتين أو تلاته.. مش كان حايسلم ناس كتير فى الأرض.. وكل واحد كان حايرجع جايب معاه تلت أربع أشحطه وتلت أربع نسوان وتلت أربع ولاد)

ثم نظر إلى رجل حوله، وطلب مه آلة حاسبة، ثم قال: (اضرب كل راس فى 600 درهم مثلاً ولا دينار يطلع بماليه كويسه، وكل ما الواحد يتعذر ياخد راس يبيعها و يفك أزمته ويبقى له الغلبه)

رأيت رجلا صاحب لحية طويلة وعضلات مفتولة، وقد سال لعابه يسأل الشيخ: هل حقا يمكن هذا ؟ هل يمكنني حقا إن غزوت فرنسا أن تصبح لدي جوار

فرنسيات؟

ابتسم الشيخ، وقال: ليس بالضرورة أن تغـزو أنت، فبمجرد أن يفتح باب الجهاد ستقام أسواق النخاسة.. وحينهـا يمكنـك أن تشـتري عشـرات الفرنسـيات والألمانيـات والكرواتيـات.. وتختـار من تشـاء منهن كمحظيات.. وترسل الأخريات لاستصلاح الأراضي في الفلوات.. وبذلك تفك أزمتك وأزمة التصحر والتبخر.

سـال لعـاب آخـر، وقـال: من دون عقـد ولا عـدد محدد.

قـال الشـيخ: أجـل.. كـان لبعض سـلفنا الصـالح سبعمائة جاريـة.. وكـان إن غضـب على واحـدة منهن دعا عليها، فلا تمسي ذلك المساء إلا في قبرهـا.. بـل في جهنم وبئس المصير.

سال لعاب آخر، وقال: أنا لا رغبـة لي في النسـاء.. أنا أحب أن أجد رجالا أقويـاء، لأن لـدي بعض البنـاء.. ولا يقوم به إلا الأشداء.

قال الشـيخ: يمكنـك أن تشـتري الأقويـاء.. فسـوق النخاسة الذي نحرص على إحيائـه يضـم جميـع أنـواع الرقيق من الرجال والنساء.

بمجـرد أن قـال هـذا صـاح الملتفـون بالشـيخ: هلم نبايعك يا شيخنا على الجهاد..

أمـا غـيرهم من الحضـور، فقـد كـانوا في نشـوة عظيمة، وكأنهم يتفرجون على ساحر أو مهرج أو فلم كوميـدي، وكـانوا وهم في طريـق عـودتهم إلى مقـر المـؤتمر يقولـون مسـتغربين: عجبـا.. هـل هـذا هـو الإسلام؟.. هلم نتفق جميعا على التحذير منه قبـل أن نصـبح عبيـدا، وقبـل أن يصـبح نسـاؤنا جـواري عنـد هؤلاء الأجلاف الغلاظ أكلة لحوم البشر.

أردت حينها أن أصيح في الحاضرين بأن هذا الشيخ دجـال وشـيطان، ولا ينبغي للـدجال ولا للشـيطان أن يتحـدث عن الإسـلام.. لكن يـدا قويـة كأنهـا سـمعت حـديث نفسـي، صـفعتني صـفعة قويـة كـادت تـودي بروحي.

جريمة إحياء الخلافة

لست أدري ما الذي يعجبهم في خلافة بـني عثمـان حتى يتباكون عليها، ويختصرون كل حياتهم في إعـادة إحيائها، ويختصـرون كـل جهـودهم في إرسـال صـدى أصواتهم إلى العالم ليصوروا له أنه لن تقوم للإســلام قائمة ما دامت الخلافة مكفنة في نعشها، أو مدفونــة في قبرها.

وكأنهم يتناسون الجـرائم الكـبرى الـتي صـليت بهـا شعوب العالم بسبب تلك الخلافة المشـؤومة، والـتي جعلت المسـلمين يتخلفــون آلاف السـنين عن ركب البشرية الحضاري.

ويتناسـون مـع ذلـك تلـك التحريفـات والتضـليلات والخرافات التي لبست الإسلام بسبب أولئك الخلفــاء وســدنتهم الــذين ســدلوا آلاف الحجب على ســماحة الإسلام وسلامه ورقيـه وتحضـره، وكـانوا سـدا منيعـا حال بين البشرية وبين تلقي الهداية الإلهية الأخيرة.

أما فتوحاتهم الـتي يشـيدون بهـا، ويتبـاكون عليهـا، فلم تكن سـوى نزعـة اسـتعمارية بغيضـة، لم تفعـل سوى أن شوهت صـورة الإسـلام الجميلـة في عيـون العالم.. فالإسلام لا ينشـر بـالغزو الإرهـابي المسـلح، وإنما ينشر بالقلب الطيب، والكلمة الحلـوة، والحجـة القوية، والبرهان الساطع، وإعطـاء النمـوذج المثـالي للإنسان المتحضر، والمجتمع المتآلف.

لكن كل ذلك كـان يمكن أن يغتفـر لـو ظـل مجـرد أحلام ينامون بها، ويسـتيقظون عليهـا، أو كـان مجـرد كلمات يبعثرونها حسبما شاءوا.. فكل إنسان حــر في أن يقول ما يشاء متى يشاء.

لكن الخطر أن تصبح تلك الأحلام واقعا يطغى على كل واقع.. فذلك هو الخطر الأكبر.

والحـوار الحصـري الـذي سـأنقله لكم اليـوم دليـل على هذا.. وقد كان المتحدث فيه هو داعية من دعـاة الخلافة نذر حياته للـدفاع عن الظلمـة في كـل زمـان ومكان.. وحجته الوحيدة التي يتـذرع بهـا تتشـكل من مغالطــة تــرى بــأن الخلفــاء الأمــويين والعباســيين والعثمانيين مسلمون، والإسلام يحرم الظلم، والنتيجة هي أن هـؤلاء يحرمـون الظلم.. ومـا دامـوا يحرمونـه قولا واعتقادا، فهم لا يمارسونه فعلا وسلوكا.

أما ما يذكره المؤرخون وتدل عليه الوثائق فهي إما أراجيف مكذوبة، أو حقائق لم يفهم القصد منهـا.. لأن العـــالم كلـــه يتـــآمر على الإســـلام وعلى الخلافـــة الإسلامية وعلى الجماعة الـتي نـذرت حياتهـا للـدعوة لإحياء الخلافة.

عندما التقيت بـه كـان يحمـل صـحيفة فيهـا رسـالة السلطان سليمان القانوني إلى ملك فرنسا فرانســوا الأول، كان يرددها بقوة، وكأنه يستشعر أنه هو نفسـه ذلك السلطان بأبهته وقوته وجبروته.. كان يجــول في أركـان القاعـة، وهـو يـردد: (أنـا سـلطان السـلاطين وبرهان الخـواقين.. أنـا متـوج الملـوك ظـلّ اللـه في الأرضين.. أنـا سـلطان البحـر الأبيض والبحـر الأسـود والبحر الأحمر والأناضول والـروملّي وقرمـان الـروم، وولاية ذي القدرية، وديار بكـر وكردسـتان وأذربيجـان والعجم والشــام ومصــر ومكــة والمدينــة والقــدس وجميع ديار العرب والعجم وبلاد المجر والقيصـر وبلاد أخرى كثيرة افتتحتها يـد جلالـتي بسـيف الظفـر وللـه الحمد والله أكبر.. أنا السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان بايزيد..)(1)

1) اخترنا هذه الرسالة لأن رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان والذي يحلم بإعادة الخلافة العثمانية قدم للرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى خلال استقباله له فى أنقرة هذه الرسالة كهدية تذكارية له، وقالت وسائل الإعلام: (إن أردوغان أراد من وراء هذه الهدية أن يلقن

عندما وصل إلى هذا المحل من الرسـالة، قاطعتـه قائلا: مـا أعجبـك في هـذه الرسـالة الممتلئـة بـالزهو والفخر والكبرياء.

قال: بل هي ممتلئـة بـالعزة والاسـتعلاء الإيمـاني.. إنهما ثمرة الجهـاد في سـبيل اللـه.. لقـد كـان ملـوك العـــالم كلهم يخـــافون من المســـلمين، وترتجـــف أوصالهم هيبة لهم..

أخذ ينظر في الرسالة، ويقول: لقـد وضـح الخليفـة العظيم سليمان القـانوني سـر ذلـك في رسـالته إلى ملـك فرنسـا، فقـال: (فإننـا فـاتحون البلاد الصـعبة والقلاع المحصـنّة وهـازمون أعـدائنا، وإن خيولنـا ليلا ونهارا مسروجة، وسيوفنا مسلولة)

قلت: ألا ترى أن تلك الخيول المسروجة والسيوف المســلولة قـــد ملأت قلـــوب العـــالم أحقـــادا على المسـلمين وعلى خلافتهم المشـوهة.. ولهـذا انقضـوا عليهم بمجـــــرد أن أتيحت لهم الفرصـــــة.. ألم يكن الأجدر بهم كما كان الأجدر بمن قبلهم من الخلفاء أن يتألفوا العالم وأن يحسنوا عرض الإسـلام.. فالإسـلام هــو دين الرحمــة والتــآلف والســلام، لا دين الســيف والسنان؟

قهقه بصوت عال، وقال: ماذا تقول يـا رجـل.. هـل يمكن أن تقوم الخلافـة بغـير سـيف.. وبغـير شـوكة.. وبغير رهبة تملأ قلوب العالم؟

ساركوزى درسا في كيفية التعامل مع الأمم الكبيرة بعد أن رفض أن يقوم بزيارة رسمية لتركيا كرئيس لفرنسا، واختار أن يزورها كرئيس لمجموعة العشرين وأن تكون مدة الزيارة قصيرة جدا لا تتجاوز 6 ساعات مما أثار استياء تركيا فضلا عن استيائها أصلا من موقفه الرافض لانضمامها إلى عضوية الاتحاد الأوروبي) انظر: (http://www.khalidyat.net/news-action-show-id-8793.htm)

ألا تعلم ما فعل العثمـانيون بـالإرمن حين بـدا منهم عدم الانصياع للخلافة ولما تتطلبه الخلافة من رهبة..

قلت: أجل.. وقلـبي ممتلئ غيظـا من تلـك الخلافـة المشؤومة بسبب ذلك.. لقد ذكر المؤرخون أنـه خلال الحرب العالمية الأولى قـام العثمـانيون بإبـادة مئـات القـــرى الأرمنيـــة شـــرقي البلاد في محاولـــة لتغيـــير ديموغرافيـة تلـك المنـاطق لاعتقـادهم أن هـؤلاء قـد يتعـاونون مـع الـروس والثـوار الأرمن. كمـا أجـبروا القرويين على العمـل كحمـالين في الجيش العثمـاني ومن ثم قاموا بإعدامهم بعد انهاكهم.

وفي 24 نيســان 1915 قــام العثمــانيون بجمــع المئـات من أهم الشخصـيات الأرمنيـة في إسـطنبول وتم اعـدامهم في سـاحات المدينـة.. وبعـدها أمـرت جميع العوائل الأرمنية في الأناضـول بـترك ممتلكاتهـا والانضمام إلى القوافل التي تكونت من مئـات الالآف من النســـاء والأطفـــال في طـــرق جبليـــة وعـــرة وصـحراوية قاحلـة.. وغالبـا مـا تم حرمـان هـؤلاء من المأكـل والملبس. فمـات خلال حملات التهجـير هـذه حــوالي 75% ممن شــارك بهــا وتــرك البــاقون في صـحاري باديـة الشـام.. وقـد روى أحـد المرسـلين الأمريكيين إلى مدينة الرها، فقال: (خلال ستة أسابيع شاهدنا أبشـع الفظـائع تقـترف بحـق الآلاف... الـذين جــاؤوا من المــدن الشــمالية ليعــبروا من مــدينتنا. وجميعهم يروون نفس الرواية: قتل جميع رجالهم في اليــوم الأول من المســيرة، بعــدها تم الاعتــداء على النسوة والفتيات بالضرب و السرقة وخطف بعضــهن حراسهم... كانوا من أسوأ العناصـر كمـا سـمحوا لأي من كان من القـرى الـتي عبروهـا باختطـاف النسـوة والاعتــداء عليهن. لم تكن هــذه مجــرد روايــات بــل شــاهدنا بــأم أعيننــا هــذا الشــيء يحــدث علنــا في

الشوارع)(1)

بعد أن أوردت له هذه الأخبار المشؤومة، وقد كنت أعتقد أنها ستلين موقفه، وستحد من حماسته للخلافة، لكنه لم يأبه لذلك.. بل راح يكبر بصوت عال، ويقول: ما شاء الله.. لقد كان درسا قاسيا لكل من يقف في وجه الخلافة..

قلت، وقد امتلأ قلبي حزنا عليه: لقد وصف الله تعالى الخلافة بكونها الحكم العادل، لا بكونها الحكم الغالب.. قال تعالى مخاطبا عبده داود عليه السلام: ﴿يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: 26]

قال: أليست هذه الآية متوجهة لداود؟.. وداود من أنبياء بني إسرائيل.. وهي شرع من قبلنا لا شرعنا.. فشرعنا هو ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: 60]

ألا تعلم الدرس الذي لقنه هارون الرشد لملك الروم.. لقد أرسل يقول له: (من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام)، ثم خرج هارون بنفسه حتى وصل هرقلة وهي مدينة بالقرب من القسطنطينية، واضطر نقفور إلى الصلح والموادعة، وحمل مال الجزية إلى

1) انظر: مقالا بعنوان: مئوية المذبحة الأرمنية...هل ينسى التاريخ ؟؟، هشام الهبيشان، موقع الماسة السورية بتاريخ 2015/04/18، على الرابط: (http://www.syrianmasah.net/arabic/pid53035.html)

الخليفة.

قلت: ولكن رسول الله ﷺ فعل خلاف ذلك مع ملك الروم، لقد أرسل يقول له: (بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، و ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64](1)

انظر اللغة التي خاطب بها رسول الله ﷺ ملك الروم، إنها تمتلئ أدبا ولطفا.. لقد سماه عظيم الروم، ولم يسمه كلبهم.. وانظر إلى هذه الألفاظ الجميلة الممتلئة بعطر السلام (سلام، الإسلام، أسلم، تسلم، وأسلم، مسلمون) التي ملئت بها الرسالة..

ثم انظر إلى الغرض من الرسالة.. فرسول الله ﷺ دعاه إلى دين الله وإلى الهداية.. ولم يدعه إلى أن يسلم مالا أو جباية.. فالإسلام دين هداية، لا دين جباية.

قال: دعك من كل ذلك.. فرسول الله ﷺ استعمل تلك اللغة لأن الوضع لم يكن يسمح له بغيرها.. ولكن في وقت هارون الرشيد ذلك الخليفة العظيم تبدل حال المسلمين.. فصارت ذلتهم إلى عزة، وضعفهم إلى قوة.

قلت: فقد نسخ هارون الرشيد بقولك هذا سماحة رسول الله وسماحة الإسلام، وصار القدوة لنا هو

---

1) رواه مسلم.

هارون لا محمد ﷺ.

قال: ماذا علي أن أفعل لأقنعك.. أنت تحمل الكثير من المفـاهيم الخاطئـة حـول الإسـلام لأنـك تختصـر الإسلام في شخص واحد هو رسول الله ﷺ.. وتنسـى كل الرجال العظام الذين مثلوا أمجاد الإسـلام وقوتـه بأحسن صورة.. الإسـلام أعظم من أن يمثلـه شـخص واحد.. إنه دين الله..

قلت: ولكن الله تعـالى اختصـر لنـا القـدوة فيـه ﷺ فقال: ﴿لَقَـدْ كَـانَ لَكُمْ فِي رَسُـولِ اللَّهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُـو اللَّهَ وَالْيَـوْمَ الْآخِـرَ وَذَكَـرَ اللَّهَ كَثِـيرًا﴾ [الأحزاب: 21]

قال: لـو طبقنـا هـذه الآيـة حسـب فهمـك لهـا فلن يبقى شيء في تاريخ الأمة نعتز به.

قلت: لمَ نعـــتز فقـــط بالســـيوف والســـيطرة والاسـتعلاء؟.. ألا يمكن أن نسـتعلي بـالعلم والتحضـر والسلام؟.. ألا ترى أن الدولـة العثمانيـة قـد انشـغلت بالسلاح عن القلم.. وبالتوسـع عن التعلم.. وقـد مكن ذلك أعداءها من التغلب عليهـا بفعـل التقـدم العلمي الذي حصل لهم.

لم يجد صاحبي ما يجيبني به.. بل راح يفتش أوراقا بين يديـه.. ثم راح يجـول في القاعـة يـردد رسـائل الخلفاء إلى الملوك.

ولم ألتـق بـه بعـد ذلـك، إلا أني رأيتـه مـرة على شاشـات التلفزيـون، وهـو يسـوق بعضـا من إخوانـنـا الأقباط.. ثم يذبحهم بدم بارد.. ويهـدي دمهم الـبريء إلى جميع العالم.

أردوغان.. والإسلام السياسي

لقد حاولت كل جهدي أن أبحث عن المنطـق الـذي يفكـر بـه الكثـير من قـادة الحركـات الإسـلامية، ومن تبعهم، وسار خلفهم، فلم أستطع إلى ذلك سبيلا.

قد تكـون المشـكلة في عقلي الـذي لا يـزال غضـا طريا، لم تلقحه التجارب التي أتيحت لهم، وقد تكـون المشكلة أيضا في عقولهم الـتي يفكـرون بهـا، أو في الألفاظ التي يعبرون بها عن أفكارهم.

ومن أبسـط الأمثلـة على القضـايا الـتي تـاه فيهـا عقلي، أو تاه فيها تعبيرهم: ظاهرة أردوغان، وعلاقتها بالإسلام.. فلسـت أدري لم يصـر من ربـأوا بأنفسـهم عن اسـم (المسـلمين) إلى اسـم (الإسـلاميين) على اعتبـار أردوغـان ليس مسـلما فقـط، وإنمـا يعتبرونـه إسـلاميا، صـاحب مشـروع إسـلامي.. بـل صـاحب المشروع الإسلامي الوحيد في العالم الإسلامي.. بـل الرجل الذي يمكنـه أن يعيـد الخلافـة الـتي لا يزالـون يحلمون بإحيائها من جديد.

وأنا أتعجب لهذا كما يتعجب الكثيرون، ولكن الفرق بيـني وبينهم أني أصـرح بتعجـبي، بينمـا هم يكتمـون تعجبهم خشـية أن يتهمـوا في عقـولهم أو في ولائهم وربما في دينهم.

وهذا الحوار الذي دار بيـني وبينـه بكيفيـة لا أذكرهـا لكم.. قد تفيدكم في التعرف على هذه الظاهرة، كما قد تدلكم على مدى السطحية والسـذاجة والبسـاطة التي يفكر بها هـؤلاء الـذين تصـوروا أنفسـهم أوصـياء على دين الله.

قلت لـــه، والعجب بـــاد على ملامحي: ويلـــك يـــا أردوغان.. لست أدري هل أنـا من المعجـبين بـك.. أم من المتعجبين منك.. فقد استطعت أن تجعل كل تلك

الجماعات تصفق لك، وتسبح بحمدك، وتنتصر لكل سلوك تسلكه، وحركة تتحركها.. مع أنه لم يستطع أي حاكم من الحكام أن يظفر بعشر عشير ما حصلت عليه.. فهم دائما في المعارضة لا يرضيهم شيء.

قلبت بعض الكتب التي تشيد به، ورحت أقرأ له بعض عناوينها، قلت له: انظر مثلا: لقد كتب العلامة أبو فلان الفلاني هذا الكتاب يمدحك فيه.. لقد عنونه بـ: (أردوغان.. قصة نجاح)، وهذا كتاب آخر عنوانه (رحلة أردوغان العثمانية)، وهذا (أردوغان.. عملاق في زمان الأقزام!!)، وهذا (أردوغان المفترى عليه !!)

ليس ذلك فقط حتى أن الإسلاميين يكادون يقلدونك ويقلدون حزبك تقليدا أعمى حتى في تسمية أحزابهم بأسماء شبيهة باسم حزبكم (حزب العدالة والتنمية)، فأسماء أحزابهم هي (الحرية والعدالة) و(البناء والتنمية) وغيرها من الأسماء المقلدة بلا وعى.

كيف استطعت أنت أن تقتحم أسوار قلوبهم، وتجعل أجسادهم ترقص في حلقة ذكرك، وألسنتهم تسبح بحمدك؟

ابتسم أردوغان ابتسامة التركي المعجب بنفسه، وقال: لاشك أنك لا تعرف مع من تتحدث؟

قلت: بلى.. أنت أردوغان.

قال: لا أقصد اسمي.. بل أقصد عقلي ودهائي وحيلتي وذكائي.. أنت لا تعلم الأبواب العالية التي عشت في أحضانها.. والتي استطاعت أن تحكم المسلمين قرونا طوالا، وتستغلهم استغلالا بشعا دونه كل استغلال.. ومع ذلك لا يزال أولئك الحمقى من

قومــك يتبــاكون على انقضــاء فــترة اســتغلالنا لهم واستعبادنا إياهم.

قلت: أراك تشير إلى خلفاء بني عثمان؟

قـال: أجـل.. لقـد قـرأت سـيرتهم.. ورحت أسـتن بسنتهم.. وليس على من استن بسنة قومه من حرج.

قلت: فأخبرني ماذا فعلت.

قال: الغبي هو الذي يخبر عن أسراره..

قلت: ما بك يا أردوغان؟.. أنسيت من أنا؟

قال: لا بأس.. لقـد أوقعتـني موقعـا حرجـا.. ولهـذا سـأذكر لـك مثـالا يمكن أن تحلـل من خلالـه المنهج الذي يفكر به أولئك الحمقى.

قلت: مثال واحد لن ينفـع.. أنـا متعـود على الأمثلـة السبعة.. والأركان الأربعة.. فالواحد لا يصـدر منـه في ذهني إلا الواحد البسيط.

قال: سأذكر لك إذا ثلاثة أمثلة.. ربمـا تكـون أركانـا لمنهجهم في التفكير.

المجتمع:

قلت: فهات المثال الأول.

قــال: أنت تعلم أن المجتمــع الإســلامي مجتمــع محافظ، وللعرض عنده قيمته الـتي لا يمكن تعويضـها بشيء.. وقد رأيت الإسلاميين لأجل هذا يركزون على الحجــاب.. بــل على صــورة الحجــاب.. أي الخمــار والجلبـــاب.. ورأيت الحمقى من العلمـــانيين عنـــدنا يحـاربون الحجـاب حـتى بصـورته البدائيـة البسـيطة.. ولعلك تعـرف مـا حـدث للنائبـة المتحجبـة، والزوبعـة التي أثيرت حولها.

قلت: أجل.. لقد سمع كل العالم بقصتها.

قال: ولهذا أرضيت الإسلاميين بالتخفيف من تلك القيود الغبية التي وضعها العلمانيون على الحجاب.. ولكني لم أنس أن أرض العلمانيين أيضا.

قلت: بم أرضيتهم؟

قال: لقد رأيت أن العلمانيين لا ترضيهم الشعارات ولا الصور ولا الرسوم.. ولهذا أعطيتهم ما يتناسب مع نهمتهم وجشاعة نفوسهم.

قلت: فما أعطيت لهم مقابل الحجاب؟

قال: لا يمكنني أن أحصي لك ما أعطيت.. ولكن على سبيل المثال: أبحت كل وسائل الفجور، ويسرت كل سبل تحصيلها.. ففي بلدي كما تعلم تنتج الأفلام الإباحية بكل أنواعها، وترسل للعالم الإسلامي وغير العالم الإسلامي.. وطبعا هي لن تجد معارضة من علماء المسلمين.. لأنها من تركيا الإسلامية السنية..

انظر.. لقد كنت أسمع قبل أيام عالما كبيرا يوجه انتقادا لوزارة دولته لكونها عرضت مسلسلا إيرانيا.. وأنت تعرف مدى تشدد الإيرانيين في المسائل الأخلاقية.. ومع ذلك لم يتفوه بكلمة واحدة حول عشرات المسلسلات التركية التي تعرض في جميع قنوات بلاده.

قلت: أجل.. سمعت بذلك.. وقد سمعت أيضا أنكم تبيحون الخنا والفجور.

ضحك ضحكة عالية، وقال: نبيحها فقط.. بل نحن ندعو الناس إليها كل حين.. ألم ترو صوري مع.. ؟

قلت: لقد رأيت من الإسلاميين من يدافع بشدة

عنك.. ويعتبرها مفتراة عليك.

قال: دعهم يقولون ذلك.. فأنا أعلم أنهم سيقولون ذلك.. لقد سمحت بنشرها ليراها العلمانيون فيرضوا عني.. ويراها الإسلاميون فيعميهم حجاب زوجتي عن النظر إليها.

فلسطين:

قلت: وعيت هذا.. فهات المثال الثاني.

قال: لقد رأيت قلوب المسلمين محبطة يائسة بسبب ما يحصل لفلسطين.. ولغزة خصوصا.. فرحت أستثمر هذا أبشع استثمار.. لقد قمت بالبطولة في بعض الأفلام التي جعلتني رمزا عند أولئك المغفلين من الإسلاميين.

قلت: تقصد موقفك في مؤتمر دافوس سنة 2009.

قال: أجل.. دعني أتذكر ذلك الدور البطولي الذي قمت به.. والذي جعل مني بطلا في قلوب أولئك الحمقى..

راح أردوغان يتجول في القاعة التي كنا فيها، ويقول: في ذلك اليوم المشهود.. أي في 29 من يناير.. غادرت منصة مؤتمر دافوس احتجاجًا على عدم إعطائي الوقت الكافي للرد على صديقي العزيز شيمون بيريز بشأن الحرب على غزة.. فبعد أن دافع صديقي العزيز عن إسرائيل وهاجم حماس، وتساءل بصوت مرتفع وهو يشير بإصبعه عما كنت سأفعله لو أن الصواريخ أُطلقت على إسطنبول كل ليلة، رددت عليه بعنف وقلت: إنك أكبر مني سناً، ولكن لا يحق لك أن تتحدث بهذه اللهجة والصوت العالي الذي يثبت أنك مذنب.. وتابعت: إن الجيش الإسرائيلي

يقتل الأطفال في شواطئ غزة، ورؤساء وزرائكم قالوا لي إنهم يكونون سعداء جداً عندما يدخلون غزة على متن دبابتهم.

طبعا كان من ضرورات المشهد التمثيلي أن لا يترك مدير الجلسة الفرصة لي حتى أكمل ردي على بيريز.

وكان من ضرورات المشهد أيضا أن أنسحب بعد أن أخاطب المشرفين على الجلسة قائلا (شكراً لن أعود إلى دافوس بعد هذا، أنتم لا تتركونني أتكلم وسمحتم للرئيس بيريز بالحديث مدة 25 دقيقة وتحدثت نصف هذه المدة فحسب)

نظر إلي، وقال: هل تعلم كم جنيت من ذلك المشهد.. لقد جنيت أكثر مما جنى جميع ممثلي العالم الكبار.. لقد احتشد الآلاف ليلاً لاستقبالي بعد ساعات من مغادرة مؤتمر دافوس حاملين الأعلام التركية والفلسطينية ولوحوا بلافتات كتب عليها (مرحبا بعودة المنتصر في دافوس.. وأهلا وسهلا بزعيم العالم).. وعلقت حماس على المشهد التمثيلي بقولها : (على الحكام العرب ان يقتدوا به)

بعد ذلك طبعا منحتني السعودية جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام (لعام 2010 ـ 1430 هـ).. وبعدها تسلمت في 29 نوفمبر 2010 جائزة القذافي لحقوق الإنسان خلال الحفل الذي تنظمه مؤسسة القذافي العالمية لحقوق الإنسان.

وتوالت بعدها الكثير من التشريفات التي استغللتها بعد ذلك أبشع استغلال.

قلت: عرفت كيف أرضيت الإسلاميين.. فكيف أرضيت العلمانيين؟

قال: دعني أقص عليك قصة فلم أسطول الحرية(1) الذي سار إلى غزة..

قلت: لقد سمعت به.. بل حفظت مشاهده مشـهدا مشـهدا.. فهـل كـانت نيتـك من خلالـه أن ترضـي الإسلاميين؟

قـــال: لا.. كـــانت نيـــتي من خلالـــه أن أرضـــي الإسـلاميين.. وأرضـي أيضـا إسـرائيل وأمريكـا وكـل الغرب..

قلت: كيف ذلك؟

قال: لقد كنت أريـد من خلالـه أن أرسـخ الانقسـام الفلسطيني.. لقد أردت أن ينسـى النـاس فلسـطين، ويتذكروا غزة.. وقد نجح المخطط نجاحا لا نظير لـه.. فمن من النـاس الآن يتحـدث عن الضـفة الغربيـة؟.. ومن منهم يتحـــدث عن أراضـــي 48 ؟.. ومن منهم يتحدث عن فتح وباقي فصائل المقاومة الفلسطينية؟

---

1) هو مجموعة من ست سفن، تضم ثلاث سفن تركيـة، وسـفينتين من بريطانيا، بالإضافة إلى سفينة مشتركة بين كل من اليونان وأيرلنـدا والجزائر والكويت، تحمل على متنها مـواد إغاثـة ومسـاعدات إنسـانية، بالإضافة إلى نحو 750 ناشطا حقوقيا وسياسيا، بينهم صحفيون يمثلون وسـائل إعلام دوليـة. قـامت جمعيـات وأشـخاص معارضـين للحصـار الإسرائيلي المفروض على قطاع غـزة منـذ العـام 2007، ومتعـاطفين مـع شـعبه بتجهـيز القافلـة وتسـييرها،، وفي مقدمـة المنظمين لرحلـة أسطول الحرية مؤسسة الإغاثة الإنسانية التركية.

انطلق أسطول السفن من موانئ لدول مختلفة في جنوب أوروبا وتركيا، وكانت نقطة التقائها قبالة مدينة ليماسول في جنوب قبرص، قبل أن تتوجه إلى القطاع مباشرة. انطلق الأسطول باتجاه قطاع غزة في 29 مايو 2010، محملا بعشرة آلاف طن من التجهيزات والمساعدات، والمئات من الناشطين الساعين لكسر الحصار، الذي قد بلغ عامه الثالث على التوالي.

قلت: فهل اكتفيت بإرضاء العلمانيين بهذا فقط؟

ابتسم، وقال: وهل يرضى العلمانيون بمثل هذا الفتات؟

قلت: فبم أرضيتهم؟

قال: أنت تعلم علاقات المودة بين إسرائيل وتركيا[1].. إن التحالف الاستراتيجي بين تركيا وكل من إسرائيل وأمريكا هو الحاكم على كل مواقفنا.. لا تنس أننا أول دولة مسلمة تعترف بإسرائيل بعد إعلان قيامها عام 1948.. وقد تعاقبت حكومات وحدثت انقلابات عسكرية وتناوب الجميع على السلطة، ولم يتغير ثبات تركيا فى ولائها لإسرائيل ولكل المنظمات الإجرامية التي تحميها.

الدول الإسلامية:

قلت: أعلم ذلك.. وأعلم وشائح القربى الكثيرة التي تربطكم بإسرائيل.. فهات المثال الثالث.

قال: ألا ترى أولئك الحمقى يعتبروننا أنصارا للأمة الإسلامية، ودعاة لإعادة مجدها؟

قلت: بلى.. ولو استطاعوا أن ينصبوك خليفة عليهم لفعلوا.

قال: ألا تعلم سبب ذلك؟

قلت: لا شك أن لخطاباتك الحماسية القوية أثرا في ذلك.

قال: أجل.. لقد علمت حبهم لأمثال تلك الخطابات،

1) انظر في هذا بحثا مهما للكاتب اللبنانى المعروف محمد نور الدين (صحيفة السفير 24/5/2012)/ ومثله مقال بعنوان: (تحالفات تركيا واسرائيل والوجه الآخر لتركيا التي يتغزل فيها التيار الإسلامي!) على الرابط التالي: http://www.aztagarabic.com/archives/7379

فرحت أحفظها وأرددها في كل المحافل، وقـد كـانت كافيـة لإرضـائهم.. فـالعقول الصـغيرة لا تنظـر إلى الأفعال، وإنما تنظر إلى الأقوال.

قلت: فكيف أرضيت العلمانيين؟

قـال: العلمـانيون قـوم عمليـون.. فلـذلك فطنـوا للحيـل الـتي أسـتعملها.. فراحـوا يعينونـني على أداء دوري بإظهـــار العـــداوة لي ظـــاهرا، وإن كـــانوا يعظمونني باطنا.

قلت: فاذكر لي بعض ما فعلت.

قـال: أنـا والزمـرة الـتي أنتمي إليهـا لم نكتـف في ولائنا للغرب بمعاداة الفلسـطينيين والوقـوف بجـانب أعدائهم.. نحن عادينا جميـع العـالم الإسـلامي بـالولاء للمنظمـات الـتي حاربتـه.. أنت تعلم دورنـا في فى حلـف شـمال الأطلسـى والـذي لم يتغـير منـذ أن انضممنا إليه فى عام 1952 .

لقد كانت الشيوعية في البدايـة هي عـدّو المنظمـة الأول، قبل أن تنهار ليحل محلهـا الإسـلام.. لقـد تغـير لـون العـدو من الأحمـر إلى الأخضـر، لكن لـون السياسة الخارجية لبلدنا لم يتغير.

لقد استطعنا باسـتمرارنا في هـذا الحلـف أن ننـال رضى العالم الحر عنا.. والذي لا يهمنا سوى رضاه.

سأضـــرب لـــك مثلا.. لقـــد شـــاركنا فى حـــرب أفغانستان.. ومع أننا الدولة الإسلامية الوحيدة إلا أننـا لم نكن نرشـد الأطلسـيين إلى حساسـيات المجتمـع الإسلامى ليتفادوا إثارة النعرات.. بل على العكس كنا الغطاء الذى يمرر تجاوزات الأطلسيين هناك.

كم من مرة ارتكب جنـود الأطلسـى عمليـات قتـل للمـدنيين واغتصـاب للفتيـات وتـدنيس للمقدسـات

وانتهاك الحرمـات والأخلاق؟ ألم يكن هـذا كلـه ونحن جــزء من الوجــود الأطلســى فى أفغانســتان؟ ومــاذا فعلت حكومتنا لكى تحول دون هـذه الانتهاكـات، وأى موقف اتخذته استنكارا على الأقل؟

ليس ذلك فقـط.. لعلـك لا تعلم المـودة الـتي بيننـا وبين أمريكا.. إن تركيا تكاد تصـير بلـدا تابعـا بالكامـل لواشنطن، فمنذ عام 1969 إلى الآن وتركيا كلأ مبـاح لأمريكــا، كمــا هي كلأ مبــاح لإســرائيل.. ففى عــام 1969 وقعت اتفاقية سمح بموجبها للولايات المتحدة بإقامة ست وعشرين قاعـدة عسـكرية بالإضـافة إلى مراكــز الرصــد والإنــذار المبكّــر ومراكــز الاتصــالات اللاســلكية وقواعــد التجســس وجمــع المعلومــات، وكذلك التسهيلات البحرية فى أهم الموانى التركية.

وقـد عـززت الولايـات المتحـدة القـوات المسـلحة التركية بحيث أصبحت تمتلك أكـبر قـوة بريـة تقليديـة (غـير نوويـة) بعـد ألمانيـا الغربيـة السـابقة فى حلـف الناتو. كما أن موقـع تركيـا القـريب من منـابع النفـط يعطيهــا مـيزة كقاعــدة جيـدة للسـيطرة على منـابع النفــط فى الخليج العــربى فى حــال نشــوب حــرب عجــزت دويلات الخليج فيهــا -وهــو متوقــع جــدا- عن الــدفاع عن نفســها، ويســمح للولايــات المتحـــدة بالســـيطرة على معظم الطـــرق الجويـــة والبريـــة المباشــرة بين الأقطــار العربيــة والــدول المجــاورة وإفريقيــا، كمــا يمنحهــا عديــدا من القواعــد الجويــة والبحريــة اللازمــة لتســهيل مهمــات حلــف شــمال الأطلسى ويجعلها قـادرة على تركـيز وسـائط الرصـد والإنـــذار المبكـــر ومحطـــات التجســـس لمراقبـــة التحركات العسكرية لدول الجوار وبخاصة سوريا بعـد الأحداث الجارية اليوم فيها.

نظر إلي، وقد رأى الاستغرب باديــا علي، فقــال: لا

تستغرب.. فكل ما تراه من كوارث في العالم الإسلامي لنا يد فيها.. سأضرب لك أمثلة على ذلك..

لدينا في تركيا قاعدة عسكرية يقال لها (قاعدة انجرليك).. إنها من أضخم القواعد الجوية للحلف الأطلسى المقامة على أراضينا.. إذ إن تجهيزاتها من الطائرات والصواريخ وأجهزة الاتصال الرادارية المتطورة والبعيدة المدى إضافة إلى وجود آلاف من الجنود الأمريكان والأوروبيين.

ألا تعلم ماذا نفعل هذه الأيام في هذه القاعدة؟

قلت: لا أعلم.

قال: إننا اليوم تقوم بتدريب العصابات المسلحة من تنظيم القاعدة وغيرها التى تقاتل فى سوريا باسم الثورة، ولكن هدفها الحقيقي هو تفكيك سوريا وضرب المقاومة المعادية لإسرائيل، وأن تستبدل بها حليفا جديدا صديقا لإسرائيل.

سكت قليلا، وقد ظننت أنه قد انتهى من حديثه.. لكنه عاد ليقول: نسيت أن أذكر لك قاعدتي الإسكندرونة ويومورتاليك.. إنهما تقعان بالقرب من الحدود السورية وتعتبران من أهم مستودعات التموين والمحروقات.. وفيها 20 بالمائة من مخزون الأسطول السادس من الوقود ومركز لتأمين الاتصالات الأمريكية ومحطة رادارية أرضية تابعة لنظام الرصد والإنذار المبكر لحلف شمال الأطلسى (الناتو).

إن هذه القاعدة تعتبر أهم قاعدة لتدريب المنشقين والعصابات المسلحة التى تعيث فسادا ودمارا الآن فى سوريا باسم الثورة، وبالمناسبة هذه القاعدة يتم فيها أيضا استقبال بعض الإسلاميين من أمثال)أولاد حازم أبو إسماعيل) و(الإخوان

المسلمين) و(لجان الإغاثة الطبية) لدفعهم للموت فى سوريا باسم الله والدين، أو باسم واشنطن وتل أبيب!

ظللت تلك الليلة يحاورني بحماسة شديدة.. وقد ذكر لي من الوقائع السرية التي منعني من نشرها ما يفوق كل ما ذكرت.. وبمجرد خروجي صادفت في طريقي شيخا كبيرا من رؤوس ما يسمى باتحاد علماء المسلمين يقف أمام مرآة يهيأ نفسه للدخول إليه، وكأنه على موعد مع ملك مقرب أو نبي مرسل.

لست أدري العملية التي يحول بها المجرمون الكلمات المقدسة الممتلئة بعطر الإيمان والسلام والمحبة إلى كلمات مدنسة بروائح القمامة والدماء والأشلاء.

فكلمة (الجهاد) المقدسة التي نص عليها القرآن الكريم، ودعا إليها، وبين أنها ركن من أركان الحياة التي لا تقوم إلا بها، تحول في الأفواه والأيادي النجسة إلى مرتع للجريمة، ووكر للإرهاب، وأداة للذبح والقتل واللصوصية، حتى مج الناس المصطلح القرآني، وتصوروا أن القرآن الكريم يدعو لما يدعو إليه هؤلاء الشياطين.

مع أن الأمر مختلف تماما، فالقرآن الكريم عندما يدعو إليه أو بالأحرى يأذن فيه، يجعله وسيلة لقمع الظالمين الذين لم يقنعوا بما آتاهم الله فراحوا يتسلطون على غيرهم، كما قال تعالى:: أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (39) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40)(الحج: 39-40)

فالآية الكريمة تقرر أن الغاية من الجهاد هي ردع الظالمين المجرمين، وحماية المستضعفين من أي دين كانوا.

ويذكر القرآن الكريم أن ما مورس من جهاد في عهد النبي ﷺ لم يكن يعدو هذا الغرض، فهو يوضح

أن المسلمين كـانوا مسـتهدفين من الأعـداء في كـل حين، وأنه لولا ما آتـاهم اللـه من قـوة وسـلاح لأجهـز عليهم الأعداء، قـال تعـالى:: وَلَا يَزَالُـونَ يُقَـاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَــرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْــتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَــدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِــهِ فَيَمُتْ وَهُــوَ كَــافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الـدُّنْيَا وَالْآَخِـرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْـحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (البقرة:217)

وقال: وَدَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَـوْ تَغْفُلُـونَ عَنْ أَسْـلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أَذًى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَـى أَنْ تَضَـعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَـدَّ لِلْكَـافِرِينَ عَـذَابًا مُهِينًا (النساء: 102)

وقال: إِنْ يَثْقَفُـوكُمْ يَكُونُـوا لَكُمْ أَعْـدَاءً وَيَبْسُـطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِـنَتَهُمْ بِالسُّـوءِ وَوَدُّوا لَـوْ تَكْفُـرُونَ (الممتحنة: 2)

وقال: كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُـوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِـأَفْوَاهِهِمْ وَتَـأْبَى قُلُـوبُهُمْ وَأَكْثَـرُهُمْ فَاسِقُونَ(التوبة: 8)

ولهــذا لا نجــد في ســيرة رســول اللــه ﷺ أي بــدء بالعدوان على قرية أو مدينة أو أي جهة من الجهــات، بل كان السلام هو الشعار الذي حمله رسول الهدايــة ورحمة الله للعالمين.

لكن هــذه المعــاني الســامية تحــولت في أيــدي المجرمين إلى معاني ممقوتـة ممتلئـة بـالعفن.. ذلـك أن نفوسهم المريضة لا تقبل السلام، ولا تسـتطيع أن تشم أريج عطر السلام.

لســت كاذبــا ولا مــدعيا فيمــا أقــول.. بــل أقــول – للأســف – الحقيقــة الــتي يصــرحون بهــا في كتبهم

وخطبهم وأفعالهم..

واليوم سأنقل لكم نص خطاب وحوار جرى بين زعيم من زعمائهم يدعونه (أبا قتادة الفلسطيني) مع قطيع من قطعانه لا طاقة له بالتفكير، ولا بالحوار.

دخلت إليهم متسترا، كان الجميع يحملون سكاكين تفوح منها رائحة الدماء، وكانت ثيابهم ممتلئة بالدماء، وكانت ألسنتهم كألسنة الأسود والفهود والنمور، ولولا أني مكلف من جهة رسمية بتغطية ذلك اللقاء لما أقدمت عليه.

خرج أبو قتادة إلى قطيع أسوده، بزئيره المجلجل، ورمى رأسا بشريا بيده بكل قوة، ثم قال(1): لقد شممت من بعضكم أنه أخذته بعض الرأفة على الأعناق التي يقطعها.. ويلكم إياكم أن تقعوا في الكفر.. فالمشفق على الكافر كافر.. والذي تأخذه الرحمة بالكافر محارب لربه مفارق لدينه.

تدبروا القرآن جيدا، واقرأوا قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ﴾ [البقرة: 251]، انظروا: لما قتل داود جالوت اجتباه الله تعالى (2)..

ثم التفت إليهم بقوة، وقال: اعلموا أنكم خير أهل الأرض، وأن الله يباهي بكم ملائكته، وأنكم الأنوار التي أنزلها الله في العالم المملوء بالردة

1) النصوص التي أنقلها هنا بين قوسين هي من كتاب (الجهاد والاجتهاد- تأملات في المنهج) لعمر بن محمود أبو عمر، المشهور بأبي قتادة الفلسطيني، ط. الأولى 1419هـ 1999م الناشر: دار البيارق بالأردن.. مع بعض التصرف بحسب ما يقتضيه المقام، من غير تدخل في الأفكار المطروحة.

2) ذكر هذا في كتابه في ص(153)، وعقب عليه بقوله: (فهل عقل مشايخنا هذا: قتل، قتل، قتل...؟ فليت مشايخنا يعيدون لنا تفسير وتجلية كلمة (قتل)

والظلمات.. وأنتم سيف الله في أرضه الذي يقطع به دابـر الكفـرة والملاحـدة والعلمـانيين والليبرالـيين والمعتزلة والأشاعرة والرافضة والصوفية.. وكـل من سار خلفهم ومعهم.

أنتم أيها الأسـود البواسـل الرجـال الـذين اختـارهم الله لجنته وحوره وقصوره وأنهاره..

واعلموا أن لكم بكل بيت تهدمونه قصرا من قصور الجنـة.. وبكـل رأس تقطعونـه مائـة حوريـة من حـور الجنان لو أطلت بخمارها على أهل الأرض لذهل أهل الأرض بالنظر إلى خمارها عن كل شيء.

أيهـا الأسـود البواسـل لا تـترددوا.. ولا تأخـذكم في الله لومة لومة.. واعلموا أن الحق معكم وبكم.. وأنـه لولاكم لما عبد الله في أرضه.. ولـولاكم لضـاع الحـق بين أيدي علماء السوء وحكام السوء وشعوب السوء.

قـام إليـه شـبل من الأشـبال لم ينبت عـذاره بعـد، وقال: لقد شوقتنا إلى جنـان ربنـا ومـا أودع فيهـا من الحور العين.. فهلا دللتنا على علج من العلوج لنقطـع رأسه، ونهدم بيته، ونجعله أثرا بعد عين؟

زأر أبو قتادة بقوة، وقال: وما حاجتكم للعلوج.. كل من عداكم حلال الدم.. حلال المـال.. حلال العـرض.. فالكـل كفـرة.. بـل الكـافر المرتـد أبشـع من الكـافر الأصلي.

قال الشبل: أتـرى أن هـؤلاء الـذين يسـكنون أرض الإسلام من طنجة إلى جاكرتا كفرة؟

قال أبو قتادة: إياك أن تشـك في كفـرهم.. فتكـون مثلهم..

قال الشبل: ولكنهم يوحدون الله ويعبدونه.

قال أبو قتادة: بل هم يشركون بـه أبشـع الشـرك.. فهم بين أمــرين: بين مشــركي القبــور ومشــركي القصور(1)، إن المشركين (في زماننا هـذا قـد تمـيزوا بنوع من الشرك، وهذا الشـرك هـو الـذي دخلت فيـه كثـير من الطوائـف المنتسـبة للإسـلام وهـو شـرك القضاء والتحاكم، فإن الكثير من المنتسبة للإسلام لم يلحـق شـرك الغـرب من جهـة أنـه صـار نصـرانياً أو يهودياً، وهو-بلا شك-شرك وكفر، ولكن ما هو الشرك الذي دخلت فيـه الطوائـف هـذه الأيـام؟ إنـه بلا شـك شرك الدساتير والقوانين الوثنية)(2)

ولذلك فإن كل من وضـع تلـك القـوانين والدسـاتير كافر.. وكل من تحاكم إليها كافر.. وكل من رضي بها كافر.. وكل من لم ينهض للإنكـار عليهـا كـافر.. وكـل من نهض ولم يقاتلها كافر(3).. ولـذلك لا يوجـد مـؤمن في الأرض إلا أنتم أو من هم على شـــــــاكلتكم من إخواننـا من القاعـدة والنصـرة وبوكـو حـرام وشـباب الإسلام.

نهض شـبل آخـر، وقـال: لقـد ذكـر لنـا بعضـهم أن

---

1) ذكرأبو قتادة في الكتاب المـذكور في ص(26) ذكـر (أن الشـرك الواقع في هذه الأيام له صورتان : شرك القبور، وشرك القصور)

2) النص بين قوسين من كتاب أبي قتادة ص(25)

3) أشار أبو قتادة إلى هذا بقوله في ص(178) : (معركتنا مع المرتدين هي معركة قد فرغنا من أصولها الشرعية، حيث تـبين لنـا بكـل وضـوح حكم اللــه تعــالى في الحكــام وطــوائفهم، وأمــا من بقي من النــاس يرتكس في جهله لعدم فهم التوحيد أو لعدم علمه بنواقضـه! فلا نملـك له إلا الدعاء، أما من فهم حكم الله في هؤلاء أنهم كفار مرتدون، وأنــه يجب قتالهم فقد خرج من دائرة الجهل، إذا تم هذا، فعلى الجميع حينئذ أن يريحنـا من آرائـه الرائعـة الورديـة، إن الـدور الآن بعـد الفـراغ من معرفة حكم الله تعالى فيـه أن نسـمع لخـبراء ومستشـارين وقـادة من نوع جديد ...هم أهل الخبرة والمعرفة في العسكرية والقتال والحرب)

(التكفـير حكم في المطلـق.. بمعـنى يجـوز لـك أن تقول: من فعل هذا الفعل أو قال هذا القول أو اعتقد هذا الاعتقاد :كافر، لكن إن وقع هذا الفعـل أو القـول أو الاعتقاد من هذا الشخص-أي: من شخص معين-فلا يجوز لك أن تقول فلان كافر)(1)

غضب أبو قتادة، وقال: ويـل لـك.. وويـل لـه.. هـذا خطـأ وشـذوذ عن منهج السـلف (إن الإرهـاب الـذي يمارسه مشايخ السلطان، ثم مشايخ الإرجـاء، فعـوام المسلمين الذين ينعقون كالببغـاوات هي الـتي تجعـل الكثير يمارس عملية دفن الـرأس في الرمـل مخافـة الاتهـام بعقيـدة الخـوارج أو الغلـو والتطـرف، حـتى صارت أعظم المكفرات يوجد لها عند هـؤلاء تخريجـاً أنها لا تستلزم كفر المعين)(2)

نهض شبل آخـر غاضـبا، وقـال: دعونـا يـا قـوم من الجـدال في البـديهيات، فمـتى شـك عاقـل في كفـر أولئـك المرتـدين حـتى نعـود إلى الحـديث عنهم كـل حين..

هات وحدثنا عن المال والغنائم.. ألسـنا مجاهـدين؟ أو ليس من حق المجاهدين أن يغنموا؟ أو ليس يحتاج الجهاد إلى موارد مالية.. فما العمل لتحصيلها؟

ابتسم أبو قتـادة، وقـال: أبشـر.. وأبشـروا جميعـا.. فكل ما ترونـه من أمـوال الـدنيا وخزائنهـا من حقكم أنتم وحدكم.. احصلوا عليها بكل طريقة.. فهي مباحة لكم ولا تسمعوا لمن يصرفكم عن ذلـك.. فإنـه (ممـا يؤسف له أن عامة التنظيمات والجماعات الإسـلامية،

---

1) ذكر هذا أبو قتـادة منكـرا عليـه في ص(84) من كتابـه مـع رميـه للمخالف بالجهل والشذوذ والخطأ، وقد قدم لذلك بقوله: (وقد ظن من لا خبرة له أن التكفير حكم في المطلق، ولا يجوز فيه التعيين.. إلخ.

2) ذكر هذا في (ص(76) من كتابه.

حتى الجهادية منها عندما يفكرون بالمورد المالي، فإنهم لا يخرجون عن تفكير أهل الباطل أو أصحاب الدنيا، فهم إما أن يبحثوا عن متبرع محسن، أو يفرغوا بعض أفرادهم للتجارة والكسب، وهم بهذا جعلوا لأعدائهم عليهم سبيلاً؛ لأن هذه المنافذ لا يتقنها المسلم وخاصة المجاهد، وعلى الخصوص في هذا الزمان، حيث سيطر الكفر على هذه المنافذ، واحتاط منها حتى لا يؤتى من قبلها...إياكم ثم إياكم أن تخجلوا

من الحق الذي تعلمونه وإياكم ثم إياكم أن تضعفوا أمام إرجاف الناس عليكم: سيسميكم الناس لصوصاً كما سيسمون جهادكم قتلاً وتخريباً، فلو أطعتموهم سيكون للكافرين عليكم قدرة وسبيلا. . وأنا أستغرب من أولئك الذين يدعون الناس للجهاد والقتال في سبيل الله ثم يطلبون منهم أن يكتسبوا عيشهم من الوظيفة، وهي عبودية ورق القرن العشرين كما سماها العقاد أو يطلبون منهم أن يكتسبوا عيشهم بالتجارة التي ستأخذ جلّ وعامة وقته)(1)

كبر الجميع بعد كلماته هذه، وسال لعاب كثير.. واختلط اللعاب بالدماء التي تفوح من سكاكينهم وثيابهم.. كان المنظر بشعا جدا لم أطق تحمله.. فأسرعت خطاي أهرب من ذلك الكابوس.. وأثناء هربي كنت أسمع صيحات أبي قتادة تصخ في أذني وكأنها قنابل نووية، كان يقول في وسط تكبير أصحابه: (أيها المسلمون لا بديل عن النار، ولا بديل عن السلاح، ولا بديل عن الدم)(2)

(إن المسلمين قوم يتقربون إلى الله بذبح أعداء الله، فالذبح سجيتهم)(3)

---

1) ذكر هذا في كتابه في ص (42-43).

2)ذكر هذا في كتابه في ص(168)

(طريق الجهاد: هو طريق الدم والخطف والسـجن) (1)

بقيت بعدها مريضا مدة، وكنت أتحسـس من كلمـة جهاد إلى أن عدت وقرأت القـرآن الكـريم واغتسـلت به من ذلك الكابوس الثقيل، وعلمت حينها سـر قولـه ﷺ : (أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُنَافِقٌ عَلِيمُ اللِّسَـانِ يُجَادِلُ بِالْقُرْآنِ)(2)، وقولـه ﷺ : (مَـا آمَنَ بِـالْقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ)(3)، وأكـبر المحـارم الـتي نص عليهـا القرآن الكريم حرمة الدماء.

---

3)ذكر هذا في كتابه في ص(133).

1)ذكر هذا في كتابه في ص(159).

2) مسند أحمد تحقيق: شاكر (1/ 227)

3)مصنف ابن أبي شيبة (6/ 146)

كلفت هـذه المـرة بمهمـة خطـيرة جـدا، وهي أن أذهب إلى المصنع الذي تقوم فيه الجماعات الإرهابية بغسل أدمغة القطعان الـتي تنتمي إليهـا، والـتي تهيـأ بعـد ذلـك لإرسـالها كقنابـل بشـرية لتـدمير الأخضـر واليابس، وتشـويه معـالم الحيـاة الـتي أمرنـا اللـه أن نعمرها ونزينها ونكون خلفاءه العادلين فيها.

رأيت في السراديب التي مـررت عليهـا الكثـير من المراكز.. ومن العناوين التي لا أزال أذكرهـا: (القـول المحتـد على من لم يكفـر المرتـد)(1).. و(الزنـاد في وجوب الاعداد)(2).. و(تنبيه الأنام لما في التفرقـة من آثـام وأهميـة التوحـد في دولـة الاسـلام)(3).. و(بيعـة الأمصار للإمام المختار)(4)

وكـان السـرداب الـذي اسـتوقفني، ورأيت أن فيـه ضـالتي هـو (مركـز التوعيـة الجهاديـة)، دخلت إليـه بالهيئـة الـتي كنت وصـفتها لكم، والـتي لا يمكن أن أذكر لكم تفاصيلها هنا.

عندما دخلت رأيت رجلا ضخما أمام سبورة، يوضـح بحماسة الأفكار التي يطرحها على القطيع الذي كـان يحيط به، وكان – على حسب ما يبـدو من ملامحهم – من جنسـيات مختلفـة، ولسـت أدري كيـف يخـاطبون جميعا بلغة واحدة، مع تعدد أعراقهم ولغاتهم..

1)هذا عنوان رسالة لأبي عبد الرحمن الأثري، قد نعرض لهـا في مقـال لاحق.

2)وهـو في أصـله كتـاب لأحـد الإرهـابيين يـدعى عبـدالقادر عبـدالعزيز، اختصره أبو عبد الرحمن الأثري.

3) وهو عنوان لرسالة لإرهابي اسمه أبو سعد العاملي.

4) وهو كتاب من تأليف اللجنة الشرعية لآنصار الشريعة في تونس.

كـان إلى جنب كـل واحـد منهم سـلاحه الـذي لا يفارقـه، وحزامـه الناسـف، وعدتـه وعتـاده من أنـواع الأسـلحة المختلفـة، والـتي يعتبرونهـا المهـر الـذي يتقدمون بـه للحـور العين، والثمن الـذي يشـترون بـه قصور الجنة.

كان الحديث فيما يبدو عن التفجيرات، وكان الرد لا على العلمانيين والليبراليين والماركسيين، وإنمـا على العلمـاء الـذين يخـالفونهم، والـذين يعتـبرونهم هـدفا مشروعا، بل من أهم الأهداف التي يحلمون بالوصول إليها.

كان العنوان المكتـوب على السـبورة هـو (التفجـير والإصلاح)، وقد حاول المتحـدث بكـل قـوة أن يـبرهن للقطيع المحيط به أن التفجـير هـو الوسـيلة الوحيـدة للإصلاح، وأنه لا يمكن أن يتحقق إصـلاح في الـدنيا إلا بالتفجير.

سأنقل لكم ما حفظت من كلماتـه بدقـة، وسـأنقل لكم معها ما جرى من حوار بينـه وبين من يفهمـه من القطيع المحيط به[1].

قال المتحدث بلغته التي لا تختلف كثيرا عن لغـة المتفجرات التي يحملونها: هل سمعتم – أيها الأبطال المجاهدون - بـآخر نكتـة أخرجهـا لنـا أزلام السـلطان من علمـاء الـدنيا.. لقـد ذكـروا أن مـا نقـوم بـه من تفجيرات ليس طريقا للإصلاح.. (عجبـاً للعقـول كيـف تفكر؟ هـل حقـاً يعي هـؤلاء مـا يقولـون؟ أم يـدركون شناعة ما به ينطقون؟)

1) النصوص الموضوعة بين قوسين من رسالة من تأليف أبي عبد الله السعدي، وهو عضو في الجماعات الإرهابية المسلحة، بعنوان: (أباطيل وأسمار)، من نشر (صوت الجهاد) بموقع التوحيد والجهاد. والغرض من الرسالة كما يذكر هو مناقشة المخالفين حول ما يسمونه جهادا.

انظـــروا إلى تهــافتهم وخفـــة عقـــولهم.. إن مـــا يطرحونه (كلمة براقـة؛ لكنهـا غـير عادلـة، فـالتفجير أسـلوب، وحكمـه حكم غايتـه وثمرتـه ونتائجـه الـتي تختلـف اختلافـا يصـل إلى حـد التضـاد.. فليس من العـدل ولا من البيـان ولا من الحـق أن يعمم هـذا الوصـف على هـذا الفعـل المجـرد، ولا أن تُتنـاول مسائل الدين بمثل هذا الإجمال الـذي يزيـد الغمـوض ويمهد للخلاف ويستنفد الأوقات والجهود في حوارات ومناقشات تدور في حلقات مفرغة)(1)

انتبهوا إلي.. وسأشـرح لكم خطـوة خطـوة تهـافت هذا القول وضحالته، ومخالفته للشريعة، بل مخالفتـه للعقل والإنسانية وكل القيم.

أجيبوني: أليس أعظم مـا يمكن أن يحدثـه التفجـير هو القتل.. أو بعبارة أخرى أكثر صراحة: ألا تـرون أن النتيجة البسيطة والتلقائية للتفجير هي القتل(2)؟

سكت الجميع، ولم يردوا، فقام أحدهم، وقـال: هـو يخاطبكم، فلم لا تجيبون؟

قالوا: وبم نجيب؟

قال: قولوا: بلى.

ردد الجميع بصوت واحد يشبه صوت الببغاء: بلى.

قـال: طبعـا أنتم تعلمـون أن المـوت هـو النهايـة الحتميـة للإنسـان.. يعـني حـتى لـو لم نقتلـه نحن بمتفجراتنا.. فسوف يموت لا محالة.. وفـوق ذلـك لن يعـدو الأجـل الـذي حـدد لـه.. أي أننـا عنـدما نقـوم بـالتفجير ويمـوت النسـاء والأطفـال في الحقيقـة لم نقتلهم نحن، إنما قتلهم الأجل الذي كتب لهم، والـذي

1)أباطيل وأسمار، ص2.

2) نص العبارة في الكتاب: (التفجير أعظم ما فيه القتل)

لا يمكن أن يتجاوزوه بحال من الأحوال.

إن لم تؤمنوا بهذا فلستم مسلمين أصلا، فمن بديهيات الإسلام أن الإنسان لا يعدو الأجل الذي كتب له، لقد ذكر القرآن الكريم ذلك، فقال: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: 8]

هل وعيتم هذا؟

كان القوم مستلقين على أسلحتهم وذخائرهم، فلم يردوا عليه، فقال: لا بأس.. سكوتكم دليل على إيمانكم العميق.. فأنتم تعون هذا جيدا وتحفظونه.. والحمد لله جميع مراكزنا التربوية والتوعوية تلقنكم أمثال هذه المعاني الإيمانية.

والآن اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى الخطوة الثالثة في الدليل، والتي تقصم ظهر شبههم المتهافتة.

اسمعوني جيدا.. لقد نص جميع علمائنا على أن (القتل منه ما هو بحق، ومنه ما هو بغير حق).. فقتل النفس المسلمة من أمثالكم ذنبٌ عظيمٌ لا يغفر بحال من الأحوال، فأنتم أولياء الله في أرضه.. من حاربكم حارب الله.. ومن ناصركم ناصر الله.. أنتم الرجال الذين أعدهم الله لجنته، بل لفردوسه الأعلى.. وقتلكم هو الجريمة التي لا تغتفر.

أما (النفس الكافرة فهي مهدرة الدم لا تعصم إلا بسبب شرعي كأمانٍ أو عهدٍ أو ذمةٍ ونحو ذلك)، والنفس الكافرة - كما تعرفون - ليست سوى كل من ترون من البشر غيركم، لأنهم إما كفرة أو مؤيدون للكفرة، أو مكثرون لسواد الكفرة.

ولذلك (فالتفجير الذي هو بحق لا شك أنه من

أعظم طــرق الإصــلاح)(1) ذلــك أنــه يقلــل عــدد المفسـدين في الأرض.. ويعجـل لجهنم بأهلهـا الـذين اشـتاقت إليهم، كمـا قـال تعـالى عنهـا: ﴿يَـوْمَ نَقُـولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾ [ق: 30]

هذا ما نص عليه القرآن.. ونحن الـذين نرفـع رايـة القرآن نسعى بكل جهـدنا لنملأ جهنم بأهلهـا الـذين لا يرضى الله عنا إلا إذا ذبحناهم وفجرناهم وفعلنـا فيهم الأفاعيل.

كبر أحد الحضور، فكبر الجميع لتكبيره.

انتفخ المعلم بتكبـيره إلى أن كـاد ينفجــر فيهم، ولما عاد إليـه عقلـه، قـال: هـل سـمعتم هـذه الأدلـة القوية.. هذا هو العلم.. وهذا هو البحث العلمي.. (أما اختراع كلماتٍ مجملة، وعباراتٍ منمقة، فلا يزيد الأمر إلا غموضاً، وكان الأولى بدعاة الحوار معنا أن يكونــوا أكــثر وضــوحاً في النقــاش وأن يعتمــدوا لغــة العلم ويتخذوا من الكتـاب والسـنة وفهم الصحابة مرجعيـةً حاكمــةً بــدلاً من اســتخفاف عقــول الشــباب بــآراء الرجال التي تصاغ صياغة الشعارات الانتخابية لتسري في الناس سريان النار في الهشيم وتتكـرر مـرةً بعـد أخرى لتصبح على مرِّ الأيام نصـاً مقدسـاً ومُسَـلَّمةً لا يجرؤ أحـد على تجاوزهـا لاسـيما مـع الضـعف العلمي في الوسط الصحوي)

قال ذلك، ثم رفع عقيرته يصـيح بحماسـة (2) : (إن التفجير من الجهاد ؛ والجهاد باب من أبـواب الجنـة... إن التفجير غيـظ الكـافرين، وردع المعتـدين، وشـفاء صدور المؤمنين..)

بقي يــردد ذلــك إلى أن أصــابتهم نشــوة عظيمــة

1) بين قوسين من الكتاب، ص3.

2) العبارات المنقولة هنا من كلامه في كتابه مع بعض التصرف اليسير.

جعلت أحـدهم يضـغط من غـير شـعور على حزامـه الناسف ليقع تفجير ضخم طهر به المكان جميعا.

حينهـا فقـط اقتنعت أن التفجـير يمكن أن يكـون سبيلا من سبل الإصـلاح.. بـل قـد يكـون هـو السـبيل الأوحد للإصلاح.

الخليفة الجديد.. ووالداه

كنت من جملة المنشغلين بالبحث عن نسب الخليفة الجديد الذي ظهر في الموصل وقبلها في الرقة.. حتى أسمي عصره بالاسم المرتبط بعائلته كما تعودنا على ذلك في تاريخنا الطويل، والذي تداولت على حكمه أسر محدودة معدودة من أمويين وعباسيين وعثمانيين وغيرهم...

وقد وصلت بعد البحث الطويل إلى نتائج كثيرة.. لكني لم أطمئن إليها.. فقررت الذهاب إلى الخليفة نفسه لأسأله عن حسبه ونسبه وأصله وفصله وبذرته وثمرته..

وقد كان من السهل علي أن أصل إليه.. فأنا أعلم حب الخلفاء للشعراء والمديح.. ولذلك لبست لباس الشعراء، وقمت بسرقة بعض الأبيات الشعرية التي امتلأت بأمثالها دواويننا، ورحت أطلب من حراسه أن يأذنوا لي بقراءة القصيدة بين يديه.

ولم تخطئ فراستي.. حيث قربني ووصلني.. بل أذن لي أن أجلس معه في مجالسه الخاصة، حيث كان السياف يرمي له كل حين برأس جديدة من رؤوس أعدائه ومعارضيه.. فقد كان له - على حسب ما رأيته منه - شغف بالعبث بالرؤوس المقطوعة، وقد أخبرني أنه ورث ذلك من حبه لمعاوية ويزيد وكل الخلفاء.. فقد كان لهم جميعا شغف بمثل تلك الرؤوس.

بعد أن رأيته قد أنس لي وارتفعت الكلفة بيني وبينه، وفي مجلس خاص، قلت له بكل جرأة، وأنا أتحسس رقبتي: لقد أخبرني بعضهم أن اسمك الحقيقي ليس أبا بكر البغدادي، وإنما هو (شمعون إيلوت)، وأنك من والدين يهوديين، حيث أن والدك

المدعو (إيلوت) قد تم تجنيده في الموساد الاسرائيلية لمدة عام خاض خلالها العديد من التجارب والاختبارات الفكرية والميدانية ليكون مؤهلاً لقيادة فكر مدمر للمجتمعات العربية والاسلامية.

وقد ورد هذا في تسريبات لادوار سنودن، ونشرتها صحف ومواقع إخبارية مختلفة ذكرت أنك تتعاون مع أجهزة مخابرات أميركية وبريطانية واسرائيلية لخلق تنظيم إرهابي قادر على استقطاب المتطرفين من جميع أنحاء العالم في مكان واحد(1).

قهقه بصوت عال، وقال: ما كل هذا التنقيب في شخصي وفي نسبي.. أنت تبتعد بهذا عن حقيقتي.. فحتى لو كنت يهوديا كما تقول، فقد أكون صاحب اتجاه آخر غير الاتجاه الذي أنا عليه..

ثم ربت علي كتفي بقوة، وقال: الإنسان ابن أفكاره.. لا ابن أبيه وأمه.

قلت: لا شك أن التوجه الديني لوالديك قد ملأ عقلك بالأفكار التي نراك تنفذها.

قال: أنت لا تزال تبتعد عني، وتبتعد عن الجهات الحقيقية التي ساهمت في إخراجي إلى العالم.. أنت مثل الكثيرين من المغفلين الذين يردون كل شيء إلى أمريكا وإلى اليهود.. وينسون الثعابين التي تسكن بيوتهم.. والسباع التي تلتهم حياتهم.

قلت: من تقصد؟

---

1) كشفت وسائل إعلامية إيرانية عن هوية وحقيقة خليفة المسلمين (أبو بكر البغدادي)، زعيم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام المعروفة بـداعش. وقالت صحيفة (أقسام) التركية نقلا عن الصحافة الإيرانية: إن البغدادي عميل بجهاز الإستخبارات الإسرائيلية (الموساد)، زاعمة أن اسمه الحقيقي (شمعون إيلوت) انظر: (http://www.elbilad.net/flash/detail?id=15175)

قـال: قـد يكـون أبي وأمي من ذكـرت.. ولكن لي أبوان أعتبرهمـا أبـوي الفكـريين الحقيقـيين، واللـذين شكلا شخصيتي بالصورة التي تراها.. وهمـا لا يـزالان يشكلان الكثير من الشخصيات بعدي.

قلت: من هما؟

قال: السلفيون، والحركيون..

السلفيون:

قلت: فمن أصـــحاب الاتجـــاه الأول، ومـــا الـــذي استفدته منهم؟

قـال: هم من تـراهم يصـيحون في كـل واد بـأنهم الممثلون الوحيدون للإسلام، وأنهم الناطقون باسمه، وأنه لا يمكن لأحد أن يدخل الجنة من غير أن يمنحـوا له صك الغفران.

قلت: لم أفهم ما تعني؟

قال: إنهم تلاميذ ابن تيميـة، ونجلـه محمـد بن عبـد الوهـاب.. إنهم الموحـدون والوهـابيون والسـلفيون.. إنهم الطائفة المنصورة والناجية.. إنهم..

قاطعتـه قـائلا: لقـد عـرفتهم.. إنهم أشـهر من نـار على علم.. لكـــني لا أراهم يهتمـــون بالسياســـة.. ولا علاقة لهم بالخلافة؟

قـــال: لقـــد تـــربيت في حجـــرهم، وتتملـــذت في مدارســهم.. وكنــا كــل حين نــردد بطــولات معاويــة ويزيد.. وكيف استطاعا أن يقمعا كل المخـالفين غـير مبالين لهم بحرمة.. وقـد جعلنـا ذلـك نحن إلى إحيـاء معاوية ويزيد من جديـد.. لنعيـد كـربلاء والحـرة وكـل تلـك المواقـع الـتي جعلت الإسـلام ينتشـر في جميـع أصقاع الأرض.

قلت: أنا أعلم شغف الوهابيين بمعاوية، ولكني لم أكن أعلم أن ذلك الشغف يحمل أي عنوان عملي.

قال: ليس هناك فكرة في الدنيا لا تحمل عنوانا عمليا.. كل فكرة تمتلئ بها المجالس لابد أن تجد في يوم من الأيام رجالا مثلي لا يكتفون بالكلام.. بل يسعوا بكل جهودهم ليحولوها إلى واقع عملي.

قلت: فأنت تزعم أنك خليفة لمعاوية؟

قال: أنا بالنسبة للوهابيين خليفة لمعاوية وللدولة الأموية.. وبالنسبة للحركيين أنا خليفة لبني عثمان.. ولا يهمني ما يعتقد الآخرون في ما داموا يساهمون في توسيع رقعة دولتي ونشر رايتي.

قلت: لقد ذكرت لي أنك تلميذ للوهابية.. فما الذي استفدته منهم؟

قال: كل شيء.. كل ما نبثه في وسائل الإعلام من ذبح وتدمير هو حسنة من حسناتهم.. وأثر من آثارهم.

قلت: لكني لا أعلم أن إخواننا من الوهابيين مارسوا أي عنف.. فهم لم يحطموا آثار مدينة نمرود ولا تماثيل الأشوريين.. إنهم لا يدعون إلا إلى إخلاص التوحيد لله.

قال: لقد كان التوحيد هو قميص عثمان الذي استحلوا به دماء الناس وأعراضهم.. ألا تعرف عثمان بن بشر؟

قلت: بلى.. أعرفه إنه من مؤرخي الوهابية المعتبرين.

قال: ألم تقرأ ما وصف هزيمة أهل الرياض سنة 1187 ه؟

قلت: أجل، فقد كتب يقول: (فَرَّ اهل الرياض،

الرجال والنساء والاطفال لا يلوي أحد على أحد هربوا على وجوههم الى البرية في السهال قاصدين الخرج، وذلك في فصل الصيف، فهلك منهم خلق كثير جوعاً وعطشا... وتركوها خاوية على عروشها، الطعام واللحم في قدوره والسواني واقفة في المناحي، وأبواب المنازل لم تغلق، وفي البلد من الاموال ما لا يحصر، فلما دخل عبد العزيز الرياض وجدها خالية من أهلها الاّ قليلاً فساروا في اثرهم يقتلون ويغنمون) (1)

قال: لقد قرأت جيدا ما فعله في تلك الواقعة، ورحت أطبقه حرفيا عندما فتحت الموصل، وطهرتها من دنس المشركين عبدة الأوثان.

قلت: وتكريت.. بمن اقتديت في اقتحامها؟

قال: بوقعة الرقيّقة التي حدثت عام 1210 ه.. ألا تعرفها؟

قلت: بلى، فقد كتب عثمان بن بشر يقول عنها: (ثور المسلمون بنادقهم دفعة واحدة، فأرجفت الأرض، وأظلمت السماء، وثار عج الدخان في الجو، وأسقطت كثير من الحوامل في الأحساء، ثم نزل سعود في (الرقيقة) المذكورة . وأقام مدة أشهر يقتل من أراد قتله، ويجلي من أراد جلاءه، ويحبس من أراد حبسه، ويأخذ من الاموال، ويهدم من المحال، ويبني ثغورا ويهدم دورا، وضرب عليهم ألوفاً من الدراهم وقبضها منهم، وأكثر فيهم سعود القتل... فهذا مقتول في البلد، وهذا يخرجونه الى الخيام ويضرب عنقه عند خيمة سعود، حتى أفناهم الاّ قليلاً، وحاز سعود من الاموال في تلك الغزوة ما لايعد ولا

---

1) عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبدالله بن بشر النجدي الحنبلي، تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ، دار دارة الملك عبدالعزيز، 1402-1403 هـ - 1982-1983 م، ص 120.

يحصى) ويقول ابن بشر: ان ابن سعود قتل من أهل قريـة واحـدة هي (الفضـول) ثلاثمائـة رجـل، حـتى صارت تلك القرية مضرب الأمثال)(1)

قلت: والرقة؟

قـال: بكـربلاء تلـك المدينـة الـتي اقتحمهـا سـلفي الصالح.. وكم تمنيت لو أتيحت لي الفرصة لـدخولها.. إذن لسـويت بهـا الأرض.. ولمـا أبقيت على أحـد من أهلها.

قلت: لا أعلم أن من سلفك من اقتحم كربلاء.

قال: أنت لم تقرأ التـاريخ إذن.. ولم تقـرأ مـا كتبـه مؤرخنـا العظيم عثمـان بن بشـر في كتابـه العظيم (عنوان المجد)، فقـد ذكـر تلـك الواقعـة، وقـال: (إن سـعود سـار بـالجيوش المنصـورة والخيـل العتـاق المشهورة، من جميـع حاضـر نجـد وباديهـا، والجنـوب والحجـاز وتهامـة وغـير ذلـك، وقصـدوا أرض كـربلاء ونـازل أهـل بلـد الحسـين، فحشـد عليهـا المسـلمون وتسوروا جدرانها ودخلوها عنوة، وقتلـوا غـالب أهلهـا في الأسواق والبيوت، وهدموا القبة الموضوعة بزعم من اعتقد فيها على قبر الحسين، وأخذوا ما في القبة وما حولها، وأخذوا النصيبة الـتي وضـعوها على القـبر وكانت مرصوفة بالزمرد والياقوت والجواهر، وأخذوا جميـع مـا وجـدوا في البلـد من الامـوال والسـلاح واللبـاس والفـرش والـذهب والفضـة والمصـاحف الثمينة وغير ذلك مما يعجـز عنـه الحصـر، ولم يلبثـوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهـر بجميـع تلـك الامـوال، وقتـل من أهلهـا قـريب الفي رجـل، ثم ان سعودا ارتحـل منهـا فجمـع الغنـائم وعـزل أخماسـها، وقسـم باقيهـا على المسـلمين غنيمـة للرجـل سـهم

---

1)عنوان المجد، ص 216.

وللفارس سهمان)[1]

قلت: لم يبق لسلفك من الوهابية إذن إلا استحلال مكة المكرمة، ورمي الكعبة بالمنجنيق كما فعل سلفك من الخلفاء؟

قال: كان ذلك ممكنا وميسرا لولا أن الله فتحها لهم صلحا كما فتحها قبل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.. فقد روى مؤرخنا العظيم عثمان بن بشر أن أهل مكة استجابوا لرسالة أصحابنا الوهابيين إليهم، والتي جاء فيها: (أما بعد، فأنتم جيران الله وسكان حرمه آمنون بأمنه. إنما ندعوكم لدين الله ورسوله ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 64] فأنتم في أمان الله ثم في أمان أمير المسلمين سعود بن عبد العزيز وأميركم عبد المعين بن مساعد، فاسمعوا له وأطيعوا ما أطاع الله والسلام) [2]

وعندما دخل مكة المكرمة في اليوم الثامن من محرم 1218ه خطب في أهلها قائلا: (احمدوا الله الذي هداكم للإسلام وأنقذكم من الشرك. أطلب منكم أن تبايعوني على دين الله ورسوله وتوالوا من والاه وتعادوا من عاده في السراء والضراء والسمع والطاعة)[3]

قلت: الحمد لله الذي حفظ مكة المكرمة من أن

---

1)عنوان المجد، ص 257 - 258

2)عنوان المجد، ص 261

3) سراة الليل هتف الصباح، عبد العزيز التويجري، طبع رياض الريس للنشر، بيروت، لبنان، 1997، ص 49.

تمتد إليها أيادي الهدم كما امتدت قبل ذلك إلى آثار كربلاء.

قال: ومن ذكر لك أن لأوثان مكة حرمة أعظم من حرمة غيرها من الأوثان.. الأوثان واحدة في مكة أو في كربلاء أو المدينة أو في أي مكان آخر.

لقد بادر أسلافنا من الوهابيين بمجرد دخولهم مكة إلى هدم القباب التي كانت على محل مولد النبي ﷺ ومولد الإمام علي والسيدة خديجة، فهدموها، وهدموا الكثير من الآثار(1).

ثم قصدوا العلماء والوجهاء من علماء الحرمين ومن الشريف فطلبوا منه التوقيع على بيان بالاعتراف بالدين الجديد والتبرؤ من دينهم السابق والإفتاء بكفر عامة المسلمين، فأصدر علماء مكة المكرمة هذا البيان: (نحن علماء مكة الواضعون خطوطنا في هذا الرقيم: ان هذا الدين الذي قام به الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ودعا اليه إمام المسلمين سعود بن عبد العزيز، من توحيد الله ونفي الشرك الذي ذكره في هذا الكتاب، أنه هو الحق الذي لا شك فيه. ولا ريب وأن ما وقع في مكة والمدينة سابقا ومصر والشام وغيرهما من البلدان، الى الآن، من أنواع الشرك المذكورة في هذا الكتاب، أنه: الكفر المبيح للدم والمال، والموجب للخلود في النار. ومن لم يدخل في هذا الدين ويعمل به ويوالي أهله ويعادي أعداءه فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر. وواجب على إمام المسلمين، والمسلمين، جهاده وقتاله حتى يتوب الى الله مما هو عليه، ويعمل بهذا الدين)(2)

---

1) المرجع السابق، ص 46

2) الدرر السنية والأجوبة النجدية، ج1 ص 314

قلت: والمدينة المنورة.. ماذا فعل بها سلفك من الوهابيين؟

قال: بمجرد أن فتحها الله لهم قاموا بتهجير سكانها من المبتدعة، حيث لم يبق من بين 70-80 ألفاً سوى ستة آلاف، بعد خمسة عشر شهراً من الحصار، وقد وصفت المدينة فور سقوطها بأن (الشوارع والأزقّة فارغة والبيوت مهدّمة، وملامح الإعياء بادية ظاهرة وكأن الزلزال أصابها) (1)

قلت: فهل أبادوا آثارها كما أبادوا آثار مكة المكرمة؟

قال: وكيف لا يفعلون ذلك.. برئت منهم إن لم يفعلوا ذلك.. فتوحيد الله أغلى من مكة والمدينة وكل بقاع الأرض.. لقد قام سلفي من الموحدين بتدمير آلاف من قبور الصحابة من المهاجرين والأنصار (تصل الى عشرة آلاف) وغيرهم من آل البيت والتابعين والشهداء في مقبرة البقيع بالمدينة المنورة، وأزالوا القبب، حتى أنه لا يمكن التعرّف اليوم إلا على بضعة قبور منها، وقد وصف بعضهم البقيع فور تدميره أواخر 1925، وبداية 1926م، فقال: (حين دخلتُ إليه وجدتُ منظره منظر بلدة قد خربت عن آخرها. لم يكن في أنحاء المقبرة كلها ما يمكن أن يشاهد سوى أحجار مبعثرة وأكوام صغيرة من التراب لا حدود لها، وقطع من الخشب.. كان ذلك أشبه بالبقايا المبعثرة لبلدة أصابها الزلزال فخربها كلها.. كان كل شيء عبارة عن طرق وعرة تتخللها مواد الأبنية المهدمة وشواهد القبور المبعثرة. لم يحدث هذا بفعل الزمن وعوارض الطبيعة، بل صنعته يد الإنسان عن عمد وتقصد)

وفي المدينة أيضاً، تم تدمير قبر الحمزة، والمسجد

1) الدرر السنية والأجوبة النجدية، ج1 ص 317

المشاد عليه، كما تمّ تدمير قبور شهداء أحد، كما تعرضت قبة المسجد النبوي للقصف المدفعي.

قلت: لم يبق إذن إلا نبش قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال: لا تذكرني بما حصل سنة 1926.

قلت: وما الذي حصل؟

قال: لقد كان سلفي من الوهابيين على أتم الاستعداد لقلع كل جذور الوثنية.. لكنهم عندما وصلوا إلى ذلك القبر الذي اتخذه الناس وثنا حالت الحوائل بينهم وبين تنفيذ مهمتهم على أكمل وجه؟

قلت: قبر من تقصد؟

قال: قبر رسول الله ﷺ .

اقشعر جلدي لقوله هذا، وقلت: أكان في نيتهم ذلك؟

قال: أجل.. لكن المشركين من الهند والسند ومصر وغيرها وقفوا حائلين دون تحقيق ذلك.. فجبن سلفنا وراعوا ذلك الواقع.. لكن الفرصة إن أتيحت لنا فلن نسمع فيها لصوت أحد من الناس.

قلت: أتحلمون بدخول مكة والمدينة؟

قال: أجل.. وهل يمكن لخلافة أن تكون من دون مكة والمدينة؟

قلت: وما تفعون إن دخلتهم إليها؟

قال: سنكمل ما بدأه سلفنا، ولن تأخذنا في الله لومة لائم.. ووالله وتالله لو وجدنا الناس يتمسحون بالكعبة ويعبدونها لهدمناها على رؤوسهم كما هدمها الحجاج ويزيد.

قلت: وقبر رسول الله ﷺ ؟

قال: سنفعل به ما فعلنا بقبر حجر بن عدي والنووي وكل القبور.

قلت: ولكنه قبر رسول الله ﷺ؟

قال: عقيدنا التي سطرها لنا ابن عبد الوهاب وابن تيمية تنص على أن الموتى كلهم متشابهون، وكلهم عاجزون.. فلا فرق بين النووي وحجر ومحمد.. نحن دائما نردد: (من كان يعبد محمدا، فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)

الحركيون:

قلت: عرفت آباءك الأولين.. فمن آباؤك الآخرون؟

قال: هم من يسمون أنفسهم حركيين وسياسيين وحضاريين.

قلت: ما أبعد أولئك عنك وعن الوهابيين، فكيف تزعم أنهم آباؤك؟

قال: أنت ترى ظاهرهم فقط.. ولذلك حكمت بما حكمت به.. لكن باطنهم لا يختلف كثيرا عن آبائنا من الوهابيين.. سأضرب لك مثالا عن تأثيرهم التربوي في شخصيا.. أنت تعلم عدائي الشديد للرافضة، ولو أن بيدي قنابل نووية أو غازات سامة لألقيتها عليهم، لأبيدهم عن آخرهم.

قلت: لعل ذلك من تأثير الوهابية فيك.

قال: لا.. لقد استفدت ذلك من تربيتي في مجالس الإخوان المسلمين.. لقد كنت حينها في سورية، وكان لنا شيخ يقال له سعيد حوى.. لعلك تعرفه.. لقد تولى أرفع المناصب في حركة الإخوان المسلمين السورية.. وقد خرج حينها الخميني بثورته في إيران..

وحينهـا نسـي سـعيد وغـيره من مشـايخ الإخـوان الصليبية والصهيونية اللتين كانا يحذران منها.. وراحـوا يحـذرون من الخمينيـة والصـفوية ومن عـودة المجوس..

لقـد كـان يـردد على مسـامعنا كـل حين بصـوته المجلجل: (جاءت الخمينية المارقة تحذو حذو اسلافها من حركات الغلو والزندقة التي جمعت بين الشعوبية في الـرأي والفسـاد في العقيـدة، تتـاجر بمشـاهر جماهير المثقفين المتعلقين بالإسـلام تاريخـاً وعقيـدة وتراثاً، فتتظاهر بالإسـلام قـولاً وتبطن جملـة الشـذوذ العقدي والحـركي الـذي كـان سـمة مشـتركة وتراثـاً جامعاً للهالكين من أسلافها من الأبامسلمية والبابكيـة والصفوية، فيعيدوا إلى واقـع المسـلمين كـل نزعـات الشر والدمار التي جسدتها تلك الحركـات المشـبوهة الساقطة في شرك الكفر والزندقة والعصيان، وتعيـد إلى الأذهان كل مخططات الـبرامج الباطنيـة القائمـة على التدليس والتلبيس، فتدعي نصـرة الإسـلام وهي حـرب عليـه – عقيـدة ومنهجـاً وسـلوكاً – وتتظـاهر بالغيرة على وحدة الصف الإسلامي وهي تـدق صـباح مساء إسفيناً بعـد إسـفين في أركـان الأمـة الواحـدة، متوسلة إلى ذلك بنظرة مذهبية شاذة، وتزعم نصــرة المستضعفين في الأرض وهي تجند الأطفال والصغار وتدفعهم قسراً وإلجاءً إلى محرقة الموت الـزؤام، ثم هي لا تكتفي بكل هذا الشر الأسود بل تقيم فلسـفتها جملة وتفصـيلاً على قـراءة منحرفـة قوامهـا التلفيـق والتدليس لكل تاريخ المسـلمين، فتـأتي على رمـوزه وأكـابر مؤسسـيه هـدماً وتشـويهاً وتمويهـاً، وتجـدد الدعوة بإصرار إلى كـل الصـفحات السـلبية السـوداء الماضية في التاريخ، والتي ظن المخلصون أنها بـادت فليس من مصلحة المسـلمين ولا في صـالح الإسـلام إعـادة قراءتهـا من جديـد، فلقـد قاسـى الجميـع من

شرها ما لا يحصره كتاب)(1)

قلت: رحم الله الرجل.. لقد كان ذلك موقفا من مواقفه.. لعله تاب منه.. ولا يمكننا أن نحمل جماعة كبيرة كالإخوان ذلك الموقف.

قال: لا.. لم يكن ذلك موقف سعيد وحده.. لقد كان موقف أكثر الإخوان.. وعلى رأسهم يوسف القرضاوي، والمؤسسة الضخمة التي أسسها (اتحاد علماء المسلمين)، والتي سخرت لها أموال ضخمة..

لقد نشر هذا الرجل ومؤسسته الكثير من البيانات في جميع وسائل الإعلام..

وكمثال على ذلك، أن هذا الشيخ استغل موسم الحج في أكتوبر 2012 فراح في خطبة له يطلب من المسلمين الدعاء على إيران باعتبارها من أعداء الأمَة، ولحيلولتها دون التدخل العسكري الخارجي في سورية، أو التدخل التكفير الإرهابي فيها.

قلت: صدقت في هذا.. ولكن على العموم الإخوان والحركيون قوم مسالمون.. لا علاقة لهم بالعنف.. وهم يدعون للخلافة النبوية لا الخلافة الأموية.

قهقه بصوت عال، وقال: لا يوجد في الدنيا من يحب الأمويين مثلما يحبهم الإخوان.. لقد كتبوا المؤلفات الكثيرة في مدحهم والثناء عليهم.. لقد كان من أساتذتي في سورية منير الغضبان وقد كان رقيبا للإخوان المسلمين فيها، فقد كتب كتابا حول معاوية يثني عليه سماه (معاوية بن أبي سفيان صحابي كبير وملك مجاهد)، قال في مقدمته: (ما أعتقد أن شخصية في تاريخنا الإسلامي ومن الرعيل الأول من

1)الخميني: شذوذ في العقائد، شذوذ في المواقف، سعيد حوى، دار عمار للنشر والتوزيع، عَمّان، الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987 م، ص 5.

الصـحابة الـذين تربـوا على يـدي رسـول اللـه ﷺ وعاشوا وحي السماء قـد نالهـا من التشـويه والـدس والافتراء ما نال معاوية بن أبي سفيان(1).. لقد أصبح كثير من المعلومات ثابتـة في أذهـان النـاس لا تقبـل الشـك ولا تقبـل الجـدل، لا تتناسـب أبـداً والمسـتوى اللائـق بصـحابة رسـول اللـه ﷺ، وصـورة معاويـة في أذهان الناس أنه طالب سلطة وسياسـي بـارع ونهـاز للفرص لا يرعوي عن شـيء في سـبيل الوصـول إلى الحكم . صـارع من أجـل السـلطة وسـعى إلى قتـل عشرات الألـوف من النـاس لكي يصـل إلى الخلافـة، وهذا الصورة تتنافى مع حس المسلم وفطرتـه، لكنـه لا يجد لها بديلاً، فكتب التاريخ تذكر ذلك، وعندما جــاء المؤرخون المحدثون وكتبوا عن معاويـة، زادوا الطين بلة، وكرسوا هذه المفاهيم في أذهان الناس وزادوهم قناعة بها، فكان لا بد من الكتابـة عن معاويـة بن أبي سفيان)(2)

هذا هدفه من الكتاب، وقـد بـرر فيـه بـذكاء وحنكـة كل ما فعله معاوية ويزيد من بعده..

قلت: هذا مجرد رأي شخصي له.

قال: بل هو رأي كبار مفكريهم ومنظريهم.. أنسيت القرضاوي الذي اعتـبر نفسـه وكيلا لبـني أمية يـدافع عنهم ويكاد يكفر من يعترض عليهم.

قلت: ذلك تاريخ.

قال: وهم يعيدونه.. ألا تراهم يدافعون عن الخلافــة العثمانية.. ألا تراهم يمدون أيديهم كل حين لأردوغـان

1) هو ذكر بعد ذكر معاوية وأبيـه هـذه الجملـة الـتي حـذفتها (رضـي الله عنهما)

2)معاوية بن أبي سـفيان صـحابي كبـير وملـك مجاهـد، منـير محمـد الغضبان، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1400هـ -1980م، ص5..

عساه يتمكن في يوم من الأيام من إحياء الخلافة من جديد؟

قلت: بلى.. ولكنهم مع كل ذلـك قـوم مسـالمون لا يحبون العنف.

قهقه بصـوت عـال، وقـال: يسـتحيل على من أحب معاوية ويزيد والأمويين والعثمانيين ألا تصـيبه شـراهة للرؤوس المقطوعة والدماء المسفوكة.

قــال ذلــك، ثم نظــر إلى رأســي، وقــال: أرى أن جرأتـك اليـوم قـد زادت على حـدها، وليس لـدي من علاج لها إلا قطعها..

لا أخفي عليكم أن الهلــع أصــابني من قولــه هــذا، لكني أمسكت بزمام نفسي، وتـذكرت مـا كنت أعـده من خطط إن هجم علي بمثل قولـه هـذا.. فقلت لـه: صــدقت ســيدي أمــير المؤمــنين.. فرأســي قربــان لمقامكم الشـريف.. ولكن إئـذن لي فقـط أن أحضـر قصيدة كنت كتبتها في مدحكم لم يكتب مثلها الأولون والآخرون.

سـال لعابـه، وقـال: أهي أفضـل من قصـيدة زهـير التي مدح بها هرم بن سنان؟

قلت: أجل.. هي أفضل منها بكثير..

قال: فهيا.. أسرع عجـل بهـا قبـل أن أعجـل بقطـع رأسك.

خرجت من مجلسه ذلك، وأنا أتحسس رأســي كــل حين، ولا أصدق أنه لا يـزال موجـودا في مكانـه، وقـد عانيت بعـدها الأمـرين حـتى اسـتطعت أن أخـرج من معسكره وأعـود إلى بيـتي، وأمكث بعـدها شـهرا في مستشــفى الأمــراض النفســية لأتخلص من صــورته وصور الرؤوس المقطوعة..

صناعة الإسلامفوبيا

من الصناعات الكبرى التي يجيـدها بعض الـدعاة أو أكـثر الـدعاة إلى الدرجـة الـتي لم يفلح الصـينيون والأمريكيـون والألمـانيون في تقليـدهم فيهـا صـناعة الفوبيا من الإسلام.

لقـد صـارت الفوبيـا شـعارا رسـميا خاصـا بأولئـك الجلاف الغلاظ أصـحاب الأشـداق العريضـة والألسـن الطويلـة والـذين القنـوات الفضـائية في اسـتقبالهم لتتمتـع بغبـائهم، وبقـدرتهم على إدراة التـوحش والعنـف، أو لإعطـاء صـورة للإنسـان البـدائي المتـأثر بأخلاق النمور والسباع.

لسـت متجنيـا في هـذا، وليتـني كنت متجنيـا .. وسأقص عليكم قصة لا أعتبرها دليلا على مـا أقـول.. ولكنهـا شـاهد بسـيط من آلاف الشـواهد على مـدى الإجرام الذي يمارسه أولئك الدجالون باسم الإسلام.

كنت قبـل سـنوات أسـير في بعض الشـوارع الأوروبية الجميلة والنظيفة، مـع صـديق لي من أهلهـا ممن تسـتهويهم اللغـة العربيـة، ويسـتهويهم أدبهـا، ويستهويهم قبل ذلك القرآن الكريم لبلاغته المعجـزة، وللقيم السامية التي يحملها.

لست أدري كيف قلت لـه من حيث لا أشـعر: أراك تعظم القرآن الكريم، وتبهرك القيم النبيلة التي يدعو إليهـا إلى الدرجـة الـتي تفضـله فيهـا على كتابـك المقدس.

قـال: هـذا صـحيح .. أنت لم تعـدو الواقـع الـذي أعيشه.

قلت: ولكن ما الذي يمنعك من الإسلام؟

أطرق إطراقة طويلة، ثم قال: لسبب بسيط .. هـو

أني أخـاف من الإسـلام .. أنـا مصـاب كسـائر النـاس الذين تراهم بالإسلامفوبيا.

قلت: يمكن لسائر الناس أن يصاب بهذا المرض ما عداك.. فأنت تعرف القرآن.. بل تعشـقه.. ويسـتحيل على من عرف القرآن أن يصاب بالإسلامفوبيا.

قـال: لسـت أدري مـا أقـول لـك .. ولكـني لا أرى القرآن كتابا للمسلمين الذين أراهم .. هم أبعد الناس عن القرآن..

اسمع جيدا كيف يصف القرآن المسـلم عنـد ذكـره لعبـاد الـرحمن .. إنهم يمشـون على الأرض هونـا .. إنهم يخاطبون الجميع بالسلام .. إنهم ..

قاطعته: وهكذا المسلمون؟

قال: لست أدري ما أقول لك..

ما وصلنا من حديثنا إلى هـذا الموضـع حـتى مررنـا على مركز إسلامي، ورأينـا النـاس يقصـدونه لسـماع محاضرة يلقيها بعض المشايخ الكبار الذين قدموا من البلاد التي يسمونها بلاد الحرمين..

كـانت الوفـود تتقـاطر على المركـز لسـماع ذلـك الداعية الكبير الذي جاء من الأرض الـتي نـزلت فيهـا آخر رسائل السماء.

ألححت على صاحبي أن يـدخل معي لنسـتمع لهـا.. فلم يجد إلا أن يفعل، وليته ما فعل.

جلسنا في الصف الأخير .. ورحنا نتابع ما يحدث:

تقـدم بعضـهم، وأظنـه رئيس المركـز، وقـال: لقـد تشرف مركزنا اليوم بزيارة الداعية الكبير الذي ولـد في بلاد الحرمين، ونهـل من مناهلهـا العذبـة الصـافية الـتي لم تتكـدر بمـا تكـدرت بـه سـائر المناهـل ..

محاضرنا الكبير لم يتخرج على يديه الدعاة فقط .. بل تخرج الكثير من المجاهدين في سبيل الله الذين رفعوا راية الإسلام خفاقة في جميع أنحاء الأرض .. لن أطيل عليكم سيتقدم بالحديث .. وقبل ذلك نفتتح بدعوة بعض من هداهم الله من أهل هذه البلاد إلى الإسلام لينطقوا بالشهادة بين يديه..

بعد انتهاء تقديمه تقدمت بعض الوجوه الشابة ذوي الملامح الأوروبية، وصافحوه واحدا واحدا، وهو يلقنهم الشهادة.. وبمجرد أن ينطقوا بها يسألهم عن أسمائهم ثم يغيرها لأسماء وكنى عربية .. وبقدرة قادر تحول جورج إلى أبي القعقاع.. وتحول أندرو إلى أبي الوليد.. وتحول ديفيد إلى أبي سليمان .. وهكذا استطاع أن يسلبهم في طرقة عين أسماءهم التي ولدوا بها، وعرفهم الناس من خلالها.

بعد أن قام بكل ذلك في أوساط تكبيرات عالية كانت تضج بها القاعة كل حين بدأ المحاضر الكبير محاضرته.. وليته ما بدأ.

حملق في وجوه الحاضرين بنظرة ممتلئة بالكبرياء والعزة، وراح يقول: بمجرد دخولي إلى هذه البلاد تذكرت رجلا كبيرا من رجال الإسلام استطاعت خيولة وجيوشه أن تطأ هذه الأرض وأن تملأها بدماء المسيحيين الصليبيين الكافرين.. إنه ذلك الذي حاول الكفرة تشويه شخصيته فحولوه من البطل الهمام إلى زير نساء .. إنكم لا شك تعرفونه .. إنه السلطان العثماني العظيم سليمان القانوني .. سأحدثكم في هذه المحاضرة عنه.. سأذكر لكم في هذه المحاضرة [القصة الحقيقية للسلطان العثماني سليمان وليس كما حرفها الكفار وجعلوا مسلسل حريم السلطان

هي الرواية][1]..

إنه أكثر سلاطين المسلمين جهاداً وغزواً في أوروبا.. حيث وصلت جيوش المسلمين في عهده الى قلب أوروبا عند أسوار فيينا مرتين!!

إنه مجدد جهاد الأمة فى القرن العاشر.. فقد أقام السنّة، وأحيا الملّة، وقمع البدعة والروافض..

إنه صاحب انتصار المسلمين في معركة موهاكس التى كانت من أيام الله الخالدة، وتُعد غرة المعارك الإسلامية فى شرق أوروبا بعد فتح القسطنطينية.

إنه أعظم سلاطين الدولة العثمانية وأكثرهم هيبة ورهبة فى قلوب النصارى وأشدهم خطرا عليهم.. وكان من خيار ملوك الأرض !!

لقد حكم المسلمين قرابة ثمانية وأربعين سنة وامتدت دولة الخلافة الاسلامية في عهده في ثلاث قارات وأصبحت القوة العظمى في العالم بأسره بلا منازع وتمتلك أعتى الجيوش والأسلحة وصاحبة السيادة في البحار والمحيطات !!

لقد قال المؤرخ الألماني هالمر عنه: كان هذا السلطان أشد خطرا علينا من صلاح الدين نفسه!!

وقال المؤرخ الانجليزي هارولد: إن يوم موته كان من أيام أعياد النصارى!!

منذ تولى السلطان سليمان القانوني الخلافة لم يركن الى الدعة والراحة، بل لبس لامة الحرب من أول يوم وظل مجاهدا الى آخر يوم في عمره، وما ترك الجهاد قط .. ما كان ينزل من على صهوة جواده إلا ليمتطي جوادا آخر ليمضي مجاهدا في

1) هذا هو عنوان مقال بشبكة الدفاع عن السنة على الرابط:
.http://www.dd-sunnah.net/forum/showthread.php?t=161602

سبيل الله ولإعلاء كلمة الله!!

ولا عجب من ان معظم الحـــديث عن الســـلطان سليمان القانوني سـيكون عن جهـاده - لأنـه لا يوجـد جانب أعظم ولا أروع في سيرة السلطان سليمان إلا جهاده ضد المشركين فى أوروبا وفتوحاته المجيدة !!

قال ذلك، ثم التفت للحضور، وقال: هل يوجد منكم معشر الحضور من يعرف المجر؟

رفع بعض الجدد الذين اعتنقوا الإسلام يـده، وقـال: هي بلادي التي ولدت فيها، وأهلي لا يزالون فيها.

قال: سـأحدثك عن بعض أمجـاد سـليمان القـانوني التي حققها في دولة آبائك وأجدادك.

عنــدما جلس الســلطان ســليمان القــانوني على كرسي الخلافة كان أول ما فعله هـو إرسـال رسـالة الى ملوك أوروبا يُعلمهم بتوليه الخلافة ويأمرهم بدفع الجزية المقررة عليهم كما كانوا يفعلون في عهد أبيه السلطان سليم الأول.. فما كـان من ملـك المجـر إلا أن قتــل رســول الســلطان ســليمان.. فاستشــاط السلطان سليمان غضبا وانفعـل قـائلا : أيُقتـل سـفير دولة الإسلام !!! .. أيهددنى ملك المجر !!

فما أصبح الصـباح إلا وقـد أعـدّ السـلطان سـليمان جيشا جرار مدعوما بالسفن الحربية، وكان السـلطان سليمان بنفسه على رأس هـذا الجيش وكـان قاصـدا مدينة بلجراد المنيعة والتى تُعد بوابة أوروبا الوسطى وحصن المسيحية كما كانوا يطلقون عليها !!

توجه السـلطان سـليمان على رأس جيش عرمـرم مكـوّن من كتـائب الإنكشـارية الـذين مـا ان يسـمع النصارى في أوروبا باسـمهم يأخـذ الـرعب منهم كـل مأخذ وترتعد فرائصهم.

وبالفعـل يبـدأ السـلطان في حصـار قلعـة بلجـراد، وبعد شهرين ونصف من الحصار تسقط قلعة بلجراد، ثم دخل السلطان سـليمان القـانونى المدينـة نفسـها فاتحاً.

ومن يومها سـمّى المسـلمون بلجـراد (دار الجهـاد) وكان منها القاعدة الحربية لانطلاق جيوش المسلمين لغزو باقى أوروبا.

لقد ظـل السـلطان سـليمان القـانونى فى بلجـراد حتى عيد الفطر وأقام صلاة العيـد فى أكـبر كنائسـها بعد تحويله الى مسجد.. ولم ينزل السلطان سـليمان من جواده حتى امتطى جوادا آخر مجاهـدا فى سـبيل الله رافعا كلمة الله خفاقة ...

قـال ذلـك، ثم وقـف وصـار يصـرخ بقـوة في وجـه الحضـور المنبهـرين: مَن مِن المسـلمين الآن يعـرف شيئاً عن بلجراد الإسلامية.. لقد ضـاعت كمـا ضـاعت الأندلس .. فهل من سليمان جديد يعيدها إلى حضيرة الإسلام، ويرفـع الآذان على قلاعهـا، ويحـول كنائسـها إلى مساجد؟

قـال ذلـك، ثم جلس، واسـترجع أنفاسـه، ثم التفت إلى المجري الذي اقتنـع الإسـلام، وقـال لـه: إذا قـدّر الله وذهبت يوما إلى بلـدك، فأنصـحك ألا تـذكر اسـم السـلطان سـليمان القـانوني، ولا اسـم معركـة موهاكس أبدا!!

فإلى الآن يوجد مثّل شعبى فى المجر يتناوله أهلها اذا حـدث أمـر سـيىء فيقـول : أسـوأ من هزيمتنـا بموهاكس!! وبعض الكتّاب ذكر أن هذه المعركـة هي التى أدخلت الرعب على أوروبا !!

يالله .. الى هذا الحد !!

والله يا إخـوة أصـابنى الكمـد والحـزن والغمّ والهمّ كلمــا ســألت أحـــد الشــباب عن موهــاكس أو عن السلطان سليمان، ولا يكاد يعرف شيئا!

يروي المؤرخون الأوروبيون هـذه المعركـة بشـيىء من الذهول، وعندما يصلون الى هذه النقطة يصـيبهم الدهشة والعجب!!

يا إخوة يُروى ان مدافع المسلمين أُطلقت بسـرعة ومهارة فائقة للغاية وكأن المسلمين اسـتعانوا بـالجن فى هــذا الأمــر، ولا عجب أن يكــون هــذا حــال من استعان بالله واستمد قوته من الله!!

كـان إطلاق المـدافع بصـورة سـريعة جـدا وبدقـة كبيرة مما أصاب الجيش المجـري بحالـة من الـذهول والهلع والرعب، فولوا أدبـارهم، والمسـلمون وراءهم يركبون أذنابهم ويضعون سيفهم فيهم كما أرادوا ..

وفرّ المجريـون المعروفـون ببسـالتهم وضـراورتهم أمــام طلقــات المســلمين وســيوفهم.. وفــرّ ملكهم لويس الثاني.. بل إنه غرق أثناء فراره ومات!!

وانتصــر المســلمون انتصــارا لم يُســمع بمثلــه فى أقطــار الــدنيا.. وكــان نصــراً مــؤزرا.. وللــه الحمــد والمنة ..

والعجيب يـا إخـوة أن مـدة المعركـة كـانت سـاعة ونصف فقط.. وكان قتلى المسلمين لم يتجـاوز 150 شهيدا.. وعدد ما أسر المسلمين من الكفار 25 ألفاً.. والباقى 175 ألفاً ما بين قتيل وجريح!!

***

بقي المحاضر يعدد بطولات سـليمان القـانوني في أوروبا، وكان بين الحين والآخر يـذكر الأرقـام الكثـيرة

للضحايا الأوروبيين الذين سقطوا على يديه.. وكان كل من حوله يكبر فرحا ونشوة وسعادة.

فجأة التفت إلى صاحبي، فوجدته يبكي.. فسألته، فقال: إن هذا الذي تراه ومن حوله هم الخرسانة المسلحة التي تحول بيني وبين أن أنطق بما ظللت طول عمري أحلم أن أنطق به.. إن هؤلاء هم الحجاب الأعظم الذي يحول بيننا ـ معشر الأوروبيين ـ والإسلام.

قلت: ولكني رأيت كما رأيت معي أن هناك من تقدم واعتنق الإسلام بين يدي هذا الداعية.

فقال: للأسف .. أنا أعرفهم جيدا .. ويوشك أن تسمع عنهم ما يجعلك تتمنى لو أنهم بقوا على ما كانوا عليه.

قال ذلك، ثم طلب مني الانصراف..

لم أفهم في ذلك الحين ما قصده .. لكني بعد سنوات .. حصل لي من الندم ما توقعه مني .. فقد علمت أن أولئك الذين اعتنقوا الإسلام في ذلك اليوم قاموا ببعض العمليات الإرهابية في بعض مساجد المسلمين بتوجيه من جماعة من الجماعات المسلحة الكثيرة .. ولست أدري هل كان ذلك ثأرا لما فعله سليمان القانوني ببلادهم؟ .. أم أنه كان إحياء للأمجاد الملطخة بالدماء؟

اتحاد المجرمين

لست أدري السبب الذي تفيض فيه عيوني كلما مررت على الشحاذين السوريين على الرغم من كثرة الشحاذين الذين أراهم وأصادفهم من الجنسيات المختلفة..

لعلي أتذكر عند رؤيتهم ما ورد في الأثر: (ارحموا عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر)

ولعلي أتذكر كل أولئك الذين جمعوا جموعهم، وحشدوا جحافلهم لتخريب سورية باسم الديمقراطية، أو باسم الحرية، أو باسم الفوضى الخلاقة التي يطلقون عليها (إسقاط النظام)

سأحكي لكم اليوم حكاية لها علاقة بهذا، ولعلها تفسر سر الدموع التي تفيض من عيني كلما مررت بهم:

في ذلك اليوم جاء لزيارتي صديق لي.. جاءني من قطر.. وكان يعمل عضوا فاعلا لدى ما يسمى بـ (اتحاد علماء المسلمين).. وصادف أن مررت معه في بعض الشوارع على امرأة سورية شحاذة.. فأردت أن أعطيها بعض المال كما تعودت، فطلب مني أن أتريث - أولا - ليسألها: هل هي من الشبيحة الموالية للنظام.. أو أنها من المعارضة؟

قلت له: لا تسخر منها يا رجل .. ودعها لهمومها.. فما علاقة المسكينة بهذا؟

قال: هذا التساهل منا هو الذي أوصلنا إلى هذه الأوضاع.. نحن دائما لا نعطي الأمور حظها من الاهتمام، ولذلك تحصل لنا في كل حين النكسة تلو النكسة .. تصور لو أن الإخوان في مصر لم يلينوا لأعدائهم .. وبمجرد أن نالوا السلطة استحوذوا عليها،

وقضوا على خصومهم.. لـو أنهم فعلـوا ذلـك من أول يـوم مـا كـانوا الآن في السـجون والمعتقلات، ولمـا صـودرت أمـوالهم .. ولكنهم كـانوا خرافـا في زمن الذئاب، وبلهاء في زمن الدهاة.

ومثـل ذلـك في ليبيـا.. لقـد تركـوا أزلام النظـام السـابق يعـودون من جديـد.. ولكن مـع ذلـك انتبهـوا لحالهم، فطنـوا لمـا يحـاك لهم.. ولهـذا اسـتمروا في ثورتهم يقاتلون كل من يريد أن ينحرف بها.

قلت: دعنـا من هـذا .. فـإني أعلم أني لـو خضـت معك فيه.. فستتحول صداقتنا إلى عـداوة، وإلفنـا إلى خصـومة .. دعـني أعطي هـذه المـرأة المسـكينة مـا كتب الله لها.. وهيا ننصرف.

قال: يستحيل أن أتركك تعطيهـا قرشـا واحـدا وأنـا معك حتى نسـألها عن الجهـة الـتي تواليهـا.. هـل هي شـبيحة تـوالي النظـام.. أم مواطنـة محترمـة تـوالي المعارضة؟

لم أجد مـا أفعـل إلا الاستسـلام، فأنـا أعلم طبعـه، وأعلم طبـع الاتحـاد الـذين ينتمي إليـه، فهـو يـابس كالصـخر لا يلين، ولا يستسـلم، ولا يحـاور، ولا يقبـل الآخر .. هو كما يردد دائما: إما أن ينتصر .. أو يكسر.. وليس هناك حل ثالث.

لكني فرحت بعد ذلك فرحـا عظيمـا .. لأني وجـدت المطرقة التي تكسره .. لقد كـانت المـرأة الشـحاذة هي المطرقة..

اقترب منها، وقال لها: أجيبني أيتها المرأة: هل أنت من الشبيحة .. أم من المعارضة؟

نظرت إليه، فرأت هنـداما محترمـا، ووقـارا وهيبـة، فقالت: ولم؟.. وهل هناك فرق بين الفقـير المـوالي،

والفقير المعارض؟

قـال: أجـل .. نحن نعين الفقـير المعـارض للنظـام باعتبـاره مواطنـا صـالحا.. أمـا الفقـير المـوالي فهـو مجرم وشبيح، ولا يستحق منا سوى القتل.

قـالت: ومن أنت حـتى تتجـرأ على هـذه الفتـاوى الخطيرة؟ أتحسب أن الهندام الذي ترتديه يخـول لـك أن تفتي مثل هذه الفتوى؟

ضحك، وقـال: يحـق لـك أن تقـولي ذلـك.. لأنـك لا تعرفينني، ولا تعرفين الجهة التي أعمل فيها.

قالت: لا يهمني أن أعرفك.. ولا أحرص على ذلـك.. فالــذي يفــرق بين الفقــراء على أســاس أفكــارهم وتوجهاتهم لا يستحق أن أعرفه، أو أعرف الجهة التي ينتمي إليها.. لأني لا أتشرف بذلك.

شــعر بنــوع من الذلــة، فلــذلك راح يحــاول بكــل الوسائل أن يعيد كرامته التي انتهكت، فقـال لهـا: أنـا من قطـــر .. وأعمـــل عالمـــا في (اتحـــاد علمـــاء المسلمين).. هل تعرفينه؟ .. وهل تعرفين قطر؟

حـدقت فيـه بشـدة، فظن أنهـا تريـد أن تعتـذر لـه، فقــال: لا داعي للاعتــذار.. فنحن في (اتحــاد علمــاء المسلمين) لم نقم إلا بواجبنا .. لقد وقفنا مـع الثـورة السورية إلى النهاية.

بقيت تحدق فيه بقوة، فشجعه ذلـك على الحـديث، فراح يقول: نحن الذين وقفنا مع الثورة السـورية في أول بـدايتها .. بـل نحن الـذين شـجعناها على القيـام، وقــد كــانت اللافتــات والشــعارات تكتب في قطــر، وترسل إلى هناك ليرفعها مندوبونا الذين ننفق عليهم من كل أنواع الأموال.. ونحن الذين رفضنا الإصلاحات التي أراد النظام أن يخدعكم بها.. ونحن الذين رفضنا

الحــوار معــه.. ونحن الــذين أفتينــا بقتــل الطاغيــة المسـتبد الظـالم.. ونحن الـذين أفتينـا الثـوار بحمـل السلاح.. ونحن الذين شجعنا الجيش على الانشـقاق.. ونحن الذين شكلنا المعارضـة، وطلبنـا منهـا أن توحـد صـفوفها.. ونحن الــذين حولنــا من الثــورة الســورية قضـية لا تقـل عن القضـية الفلسـطينية، بـل تتفـوق عليهـا في الأهميـة .. ونحن الـذين اسـتطعنا أن نقنـع العالم بعدالتها.. ونحن الذين أفتينا بالنفير العام ليقدم المجاهدون من كل أنحاء العالم ليحــرروا ســورية من الطغيان.. ونحن الذين جمعنا الأمـوال لتسـليح الثـوار والمجاهدين.. ونحن الذين اسـتعملنا كـل وسـائلنا مـع الغرب وأمريكا لتقيم منطقة عازلة.. ونحن الذين..

أخذت المرأة عصا كـانت بجانبهـا، وراحت تشـرعها نحـوه، وهي تصـيح: ويـل لكم أيهـا المجرمـون .. أنتم السبب في كــل مــا حصــل لنــا .. أنتم الــذين شــوهتم الإسلام.. أنتم الذين حــولتم المســلمين المتســامحين المســالمين إلى عصــابة.. لقــد دمرتمونــا، ودمــرتم بلادنا.. كنــا نعيش في فضــل اللــه .. وفي مســاكننا .. وبين أهلينا.. لكنكم أبيتم إلا أن تخرجونا من كل ذلــك النعيم وذلك السلام وتلك السعادة.

أراد الرجــل أن يســترد كرامتــه، فصــرخ فيهــا هــو الآخر: بل أردنـا لكم الحريـة .. أردنـا أن نحـرركم من نظام الطاغية .. أردنـا ألا تبقـوا مجـرد أنعـام تـأكلون وتشــربون.. وليس لكم أي ديمقراطيــة ولا حريــة ولا حقوق سياسية..

غضبت المرأة غضبا شديدا، ولـوحت بعصـاها، وهي تقول: وما شأنكم بنا .. وبحريتنا .. هـل حـررتم قطـر التي تنطلقون منها في نشر إجرامكم؟ .. هـل أدخلتم إليهـــا الديمقراطيـــة؟.. أليس الأقربـــون أولى بـــالمعروف؟ .. فلم تركتموهـــا، ورحتم تنشـــرون

سمومكم في كل بلاد الإسلام .. خربتم ليبيا وسوريا وكل بلاد الله.. ملأتم قلوب جميع المسلمين بالأحقاد .. نشرتم سموم الطائفية ..

لم يجد ما يقو، إلا أنه صاح فيها من حيث لا يشعر: لاشك أنك من الشبيحة.. أنت من أزلام النظام.. كان على الثوار أن يقتلوك أو يذبحوك قبل أن تصلي إلى هذا المكان.

ثم أخذ من حيث لا يشعر يركلها برجله.. ثم أخذ العصا منها بالقوة، وأراد ضربها بها لولا أن الناس منعوه..

استحييت من نفسي، ومن أن يكون لي صديق بتلك القسوة ..

فررت بجلدي من ذلك المكان وأنا أحمد الله على أني لم أسر معه إلى تلك البلاد التي جعلها الشيطان مركزا لنشر الأحقاد والضغائن والدمار.

لقد كان صديقي قبل أن يسير إلى تلك البلاد، وقبل أن ينضم إلى ذلك الاتحاد أكثر سلاما.. وألين جانبا .. وأوفر رحمة .. لكني عندما سمعته ورأيته عرفت التأثير الكبير الذي يفعله (اتحاد المجرمين) في المنتمين إليه.